الإسلام وطن

أسسها

العارف بالله

السيد عز الدين ماضى أبو العزائم

سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

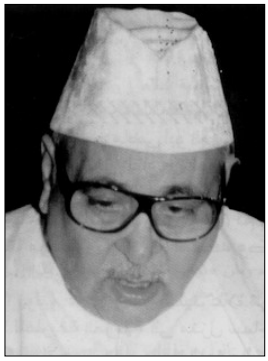

تصدرها

مشيخة الطريقة العزمية

بجمهورية مصر غرة كل شهر عربي

ترخيص المجلس الأعلى للصحافة

١٩٨٧/٢/٨م

رئيس مجلس الإدارة

شيخ الطريقة العزمية

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

نائب رئيس مجلس الإدارة

نائب عام الطريقة العزمية

السيد أحمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

مدير التحرير والمشرف العام

الدكتور عبد الحليم العزمي

رئيس التحرير

محمد الشندويلي

مستشار التحرير

الأستاذ سميح محمود قنديل

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

* **الافتتاحية: رسالة الموازنة في فهم المواطنة (٢) ..**
بقلم شيخ الطريقة العزمية السيد محمد علاء الدين ماضي أبي العزائم ٤
* **معارج المقربين (٢٥) ..** الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم ٨
* **الإنسان خليفة الله في الأرض (٣٨) ..**
بقلم نائب عام الطريقة العزمية السيد أحمد علاء الدين ماضي أبي العزائم ١٢
* **تدريس الفقه المذهبي في الجامعات حضوريًا وافتراضيًا وآثاره التربوية (٥) ..**
أ.د محمود إسماعيل محمد مشعل ١٤
* **مفهوم الهجرة [٢/١]..** أ.د عزيزة عبد الفتاح الصيفي ١٦
* **فقه مالك والمالكية (٢٠) ..** د. محمد الإدريسي الحسني ١٨
* **نصرة النبي المختار في أهل بيته الأطهار (٩٢) ..** المستشار رجب عبد السميع وأ. عادل سعد ٢٠
* **النَّص المُتشظِّي .. المشروع الصهيوني من ريف دمشق إلى قطاع غزة (١٤) ..**
أ.د. بليغ حمدي إسماعيل ٢٢
* **وصية إلى المرأة المسلمة (٤) ..** د. جمال أمين ٢٤
* **الإسلام وطن وجولة مع أخبار الوطن الإسلامي..** الأستاذ هشام سعد الجوهري ٢٦
* **قول أنفذ من صول ..** د. عزيز محمود الجندي ٢٩
* **الهجرة: مشاهد جليَّة ودرجات عليَّة ..** الإمام محمد ماضي أبو العزائم ٣٠
* **براعم الإيمان من فيض الحنان (٥٠) ..** المحاسب مصطفى فهيم ٣٢
* **جوانب الخلاف بين جمعية العلماء والطرق الصوفية (١١) ..** أ. د. نور الدين أبو لحية ٣٤
* **ثاني المسيحين: الإمام أبو عبد الله الحسين ﷺ ..** الدكتور عبد الحليم العزمي ٣٦
* **سيرة الرسول ﷺ بعيون مفكرة وراهبة إنجليزية [٤/٤] ..** أ. صلاح البيلي ٤٠
* **قيم علمية من الشعر العربي [٥/١] ..** أ. محمد إسحاق عبد الرسول ٤٢
* **رأي الإمام أبي العزائم في مسائل العقيدة (٣٦) ..** د. سامي عوض العسالة ٤٤
* **صرخة في أذن كل مسلم: احذروا خوارج العصر (٢) ..** محمد الشندويلي ٤٦
* **من أنشطة المركز العام للطريقة العزمية خلال شهر ذي الحجة ١٤٤٧هـ** ٤٧
* **آيات الساعة العشر في القرآن الكريم والسنة (١٣) ..** أ. د. فاروق الدسوقي ٤٨
* **أباطيل الإسلام السياسي (الأسس الفكرية للإرهاب) [٨٧] ..** د. محمد حسيني الحلفاوي ٥٠
* **شرح جوامع الكلم للإمام أبي العزائم ﷺ (الحكمة ١٨٤) ..** أ.سميح قنديل ٥٢
* **اليهود أعداء الله تعالى (١) ..** الشيخ قنديل عبد الهادي ٥٤
* **التكفيريون يخدمون من؟! ..** د. رفعت سيد أحمد ٥٦
* **المجتمع العزمي** ٥٨

غـايتـنا

إعادة المجد الذي فقده المسلمون الذي لن يتحقق إلا بعودة الخلافة الإسلامية.
هذه هي الضالة التي ننشدها والمجد الذي فقده المسلمون ونسعى لتجديده.

دعوتنا

أولاً: الإسلام دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها.

ثانياً: الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﷺ.

ثالثاً: الإسلام وطن والمسلمون جميعًا أهله.

شعارنا

الله معبودنا والجهاد خلقنا
والرسول مقصودنا والخلافة غايتنا
والقرآن حجتنا وأبو العزائم إمامنا

الاشتراكات

داخل مصر ١٨٥ جنيه سنويًا خالصة رسوم البريد.

باقي دول العالم ٧٥ دولارًا سنويًا خالصة رسوم البريد.

رسالة الموازنة في فهم المواطنة (٢)

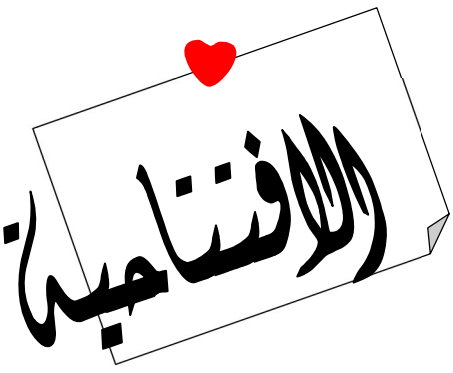

في زمن يتسارع فيه الصراع الإقليمي، يبرز بوضوح مخطط تفتيتي يستهدف دول المنطقة العربية والعالم الإسلامي، يعتمد على استغلال أي تنوع فكري أو ديني أو طائفي أو عرقي لزعزعة الأمن والاستقرار.

هذا المخطط ليس جديدًا، بل هو امتداد لإستراتيجيات استعمارية قديمة تهدف إلى تقسيم الدول إلى كيانات صغيرة ضعيفة، لصالح الكيان الصهيوني الذي يجد في الفرقة الاسمية ضمانًا لأمنه وتوسعه، فالعدو لا يقاتلنا بالسلاح فقط، بل يزرع الفتن بيننا ليحقق ما عجز عنه في ساحات المعارك.

تحدثنا اللقاء الماضي أن العدو يحاول زرع الفتنة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين في مصر، وبيَّنَّا تاريخ التضامن والبطولات المشتركة بين المسلمين والمسيحيين، وقمنا بالرد على بعض الشبهات التي تثار حول العلاقة بينهما.

بيَّنَّا أن نصوص الدين ليست مجرد أحكام فقهية، بل هي دستور للمواطنة في الإسلام، فالاختلاف في العقيدة لا يبرر الظلم أو الاضطهاد.

الموازنة في المواطنة

في قلب مفهوم المواطنة يقع التوازن الدقيق بين الحقوق التي تكفلها الدولة لكل فرد، والواجبات التي يلتزم بها المواطن تجاه وطنه ومجتمعه.

هذا التوازن ليس مجرد نصوص قانونية جافة، بل هو أساس الوحدة الوطنية في مصر، حيث يعيش المسلمون والمسيحيون معًا كإخوة في الوطن الواحد.

دستور جمهورية مصر العربية لعام ٢٠١٤م (المعدل عام ٢٠١٩م) يؤكد في ديباجته ومواده أن النظام الجمهوري الديمقراطي يقوم على أساس المواطنة وسيادة القانون، ويضمن المساواة التامة بين المواطنين دون تمييز بسبب الدين أو العقيدة أو أي عامل آخر.

هذه المساواة ليست شعارًا سياسيًّا، بل التزامًا دستوريًّا يحمي الجميع، مسلمين ومسيحيين، ويمنع أي محاولة للوقيعة أو التمييز التي يروج لها البعض من الإخوان أو السلفية المتطرفة أو العلمانية المتشددة.

حقوق وواجبات المواطن المصري:

يبدأ حق المواطنة بالمساواة أمام القانون، كما نصت المادة ٥٣ من الدستور صراحة: «المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والحريات والواجبات العامة، لا تمييز بينهم بسبب الدين، أو العقيدة، أو الجنس، أو الأصل، أو العرق، أو اللون، أو اللغة، أو الإعاقة، أو المستوى الاجتماعي، أو الانتماء السياسي أو الجغرافي، أو لأي سبب آخر».

هذا النص يعني عمليًّا أن المواطن المسيحي له نفس الحقوق التي للمواطن المسلم في كل المجالات: في التعليم والعمل والصحة والمشاركة السياسية، ولا يحق لأحد أن يحرم الآخر من فرصة بسبب دينه، ولا يجوز للدولة أو المجتمع أن يفرض تمييزًا إيجابيًّا أو سلبيًّا يخل بالتوازن.

من أبرز الحقوق الشخصية: حق الحياة الكريمة والحرية الشخصية، وحرمة الحياة الخاصة، كما في المواد ٥١ إلى ٥٥ من الدستور.

يحظر الدستور الاعتداء على حرية المواطن أو حرمة مسكنه أو مراسلاته أو خصوصيته، سواء كان مسلمًا أو مسيحيًّا، كما يضمن الدستور حرية العبادة والاعتقاد (المادة ٦٤)، فكل مواطن له الحق في ممارسة شعائر دينه دون إكراه أو اضطهاد، مع احترام النظام العام. هذا الحق يعكس تمامًا توجيه الإسلام في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويمنع أي فئة من استخدام الدين لتضييق على الآخر.

أما الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، فهي عماد الحياة الكريمة، فالعمل حق وواجب وشرف تكفله الدولة (المادة ١٢)، ويحظر الإجبار على العمل إلا في إطار

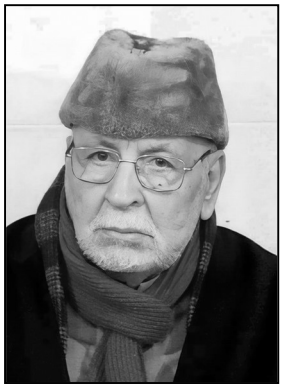

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم
شيخ الطريقة العزمية
عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية
رئيس الاتحاد العالمي للطرق الصوفية

الخدمة العامة.

والوظائف العامة حق لكل مواطن على أساس الكفاءة دون محاباة أو تمييز (المادة ١٤)، كذلك يضمن الدستور الحق في التعليم (المادة ١٩) بجودة عالمية، والحق في الصحة (المادة ١٨) برفع جودة الخدمات وعدالة توزيعها جغرافيًّا.

أما الحق في الحماية الاجتماعية والضمان الاجتماعي (المادة ١٧)، فهو يشمل كل مواطن يعاني من الفقر أو البطالة أو العجز، سواء كان مسلمًا في قرية

المواطنة ليست مجرد جنسية ورقية، بل انتماء حقيقي يمنح كل مصري - مسلمًا كان أو مسيحيًّا - كرامة وعزة وفرصًا متساوية.

صعيدية أو مسيحيًّا في حي شعبي بالقاهرة.

هذه الحقوق تترجم إلى واقع ملموس: المواطن المسيحي يحق له الترقي في الوظائف العامة أو الترشح للبرلمان أو تولي مناصب قيادية.

ولا ننسى الحقوق السياسية والثقافية، فمشاركة المواطن في الحياة العامة واجب وطني، ولكل مواطن حق الانتخاب والترشح وإبداء الرأي في الاستفتاء (المادة ٨٧)، وهذا يعني أن المواطن المسيحي له حق كامل في تشكيل الأحزاب أو الترشح للرئاسة أو العضوية في المجالس النيابية، دون أي قيد ديني، كما يحق له التمتع بالثقافة والإعلام والفنون (المادة ٤٨)، والحق في بيئة صحية نظيفة (المادة ٤٦).

هذه الحقوق جميعها مشتركة، وتؤكد أن المواطنة ليست مجرد جنسية ورقية، بل انتماء حقيقي يمنح كل مصري – مسلمًا كان أو مسيحيًّا – كرامة وعزة وفرصًا متساوية.

مقابل هذه الحقوق تأتي الواجبات، فالمواطنة علاقة تبادلية.

وأول الواجبات: الولاء للوطن والدفاع عنه، فالدستور يعتبر الدفاع عن الوطن واجبًا مقدسًا (المادة ٨٧ ضمن السياق العام)، ويفرض الخدمة العسكرية على الذكور.

هذا الواجب مشترك: المواطن المسلم والمسيحي يدافعان معًا عن مصر، ولا يجوز لأحد أن يتهرب من هذا الواجب بحجة دينية، فالإسلام نفسه يأمر بالدفاع عن الأرض التي يعيش فيها المسلم مع غيره.

ثانيًا: احترام القانون والنظام العام، فكل مواطن ملتزم بطاعة القوانين واللوائح، ودفع الضرائب والرسوم المقررة، فهذه هي مصادر تمويل الحقوق الاجتماعية للجميع.

الدستور يجعل احترام الدستور والقانون شرطًا أساسيًّا لممارسة الحقوق (كما في يمين الوزراء والرئيس)، وهذا الواجب يمنع الفوضى، ويضمن أن يستفيد كل مواطن من حقوق الآخرين.

ثالثًا: المشاركة الإيجابية في التنمية الوطنية، فالدستور يعتبر المشاركة في الحياة العامة واجبًا وطنيًّا، سواء بالتصويت أو العمل التطوعي أو المساهمة في المشروعات القومية، كما يفرض الواجب بالحفاظ على الممتلكات العامة والمحافظة على البيئة والتراث. في السياق الإسلامي، يأمر الدين بالتعاون على البر والتقوى، ويحرم الإفساد في الأرض، سواء كان إفسادًا اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا.

رابعًا: الالتزام بالقيم الأخلاقية والاجتماعية، فالدستور يجعل الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق والوطنية (المادة ١٠)، ويحمي المرأة والطفل والمسن. هذا يعني أن كل مواطن - مسلمًا أو مسيحيًّا - ملتزم بتربية أبنائه على قيم الولاء والتسامح، ومنع أي سلوك يهدد الوحدة الوطنية.

يؤكد الإسلام هذا التوازن تمامًا، فالنبي ﷺ أمر بمعاملة أهل الذمة بالعدل، ونهى عن الاعتداء عليهم، كما في حديث: (من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسه فأنا خصمه يوم القيامة) (رواه أبو داود).

هكذا تكون المواطنة في الإسلام: حقوق متساوية في الحماية والعدالة، وواجبات مشتركة في الدفاع والولاء.

في مصر، هذا التوازن واقع معاش، فالمواطن المسيحي يدفع الضرائب كالمسلم، ويتمتع بحقوق متساوية، ويشارك في الدفاع عن الوطن.

أي محاولة لتضييق الحقوق باسم «الاختلاف العقدي» مرفوضة دستوريًّا وشرعيًّا؛ لأن العقيدة لا تنفي المواطنة، بل تثريها بالتسامح.

دور ثالوث التفريق في خدمة الأعداء

في قلب مصر، حيث يعيش المسلمون والمسيحيون منذ قرون كإخوة في الوطن الواحد، تبرز ثلاث قوى سياسية وفكرية تعمل على تقويض الوحدة الوطنية:

الإخوان المسلمون، والسلفية، والعلمانية.

هذه الفئات الثلاث، رغم اختلاف مشاربها، تشترك في إثارة الفتنة الطائفية أو الاجتماعية التي تُضعف تماسك المجتمع المصري. فالإخوان: من خلال الإجرام المباشر والاعتداءات على الكنائس والمسيحيين. والسلفية: من خلال الفتاوى التي تُبيح التمييز وتُحرّم التسامح. والعلمانية: من خلال محاربة الأديان ونشر أفكار تهدم القيم والأخلاقيات الدينية.

ونقدم ذلك للشعب المصري – مسلمين ومسيحيين – لتكون هناك حالة من الوعي أمام المخططات التي تستهدف وحدتهم، وإلى تفصيل ذلك:

الإخوان.. الإجرام المنظم

بدأ دور الإخوان في تقويض الوحدة الوطنية يتجلى بوضوح خلال فترة حكم محمد مرسي (٢٠١٢-٢٠١٣م)، ثم تفجر بعد عزله في ٣ يوليو ٢٠١٣م.

لم يكن الأمر مجرد خلاف سياسي، بل حملة انتقامية مباشرة ضد المسيحيين الذين اتهمهم الإخوان بدعم «الانقلاب».

في ١٤ أغسطس ٢٠١٣م، بعد فض اعتصامي رابعة والنهضة، شن أنصار الإخوان هجمات منظمة على الكنائس والممتلكات المسيحية في محافظات متعددة مثل المنيا وأسيوط والفيوم والجيزة والسويس وسوهاج وبني سويف وشمال سيناء.

وثقت منظمة هيومن رايتس ووتش أن المهاجمين أحرقوا أو دمروا ٣٧ كنيسة على الأقل، واستهدفوا عشرات المؤسسات المسيحية الأخرى، مما أسفر عن مقتل أربعة أشخاص على الأقل.

في المنيا وحدها، سُجلت أكثر من ست هجمات في أسابيع قليلة قبل ذلك.

أفاد تقرير لمنظمات حقوق الإنسان بأن أكثر من ٦٦ مبنى مسيحيًّا تعرض للتدمير، منها ٤٩ كنيسة، كما أحرقت كنائس في بني سويف وسوهاج، وأُلقيت أعلام القاعدة على بعضها.

لم تكن هذه الهجمات عفوية؛ بل سبقتها خطابات طائفية في اعتصامي رابعة والنهضة، حيث اتهم خطباء الإخوان الأقباط بـ«المؤامرة» ضد مرسي.

حتى بعد الحادث، أصدر بعض قادة الإخوان بيانات إدانة شكلية، لكن الواقع يظهر أن التنظيم استغل الغضب السياسي ليحول المسيحيين إلى كبش فداء

قبل ذلك، في أبريل ٢٠١٣م، هاجمت مجموعات من أنصار الإخوان كاتدرائية الأقباط الأرثوذكس في العباسية، وهي المرة الأولى التي يُستهدف فيها مقر البطريركية بهذا الشكل.

هذه الجرائم ليست حادثة معزولة؛ فتاريخ الإخوان يشهد على توظيف الطائفية للاستقطاب السياسي.

في السبعينيات والثمانينيات، شاركت

مجموعات متفرعة عن الإخوان في هجمات على المسيحيين.

النتيجة: كانت زعزعة الثقة بين المكونين الرئيسيين للشعب المصري، وإضعاف الجبهة الداخلية أمام أي تهديد خارجي.

الإخوان، بهذه الأفعال، لم يهاجموا المسيحيين فقط، بل هاجموا فكرة «مصر للمصريين» التي بناها الأجداد في ثورة ١٩١٩م.

السلفية.. الفتاوى التي تزرع الكراهية

أما السلفية، فدورها في تقويض الوحدة يأتي عبر الفتاوى المتطرفة التي تُبث على الفضائيات والمنابر، وتُحوّل الاختلاف العقدي إلى عداء اجتماعي.

أحد أبرز الدعاة السلفيين أصدر فتوى تحرم على سائقي التاكسي والحافلات المسلمين نقل الكهنة الأقباط إلى كنائسهم.

فتاوى أخرى كفرت المسيحيين أو أباحت التمييز ضدهم، كما صدرت فتاوى تُحرّم تهنئة المسيحيين بأعيادهم، وتطالب بفرض الجزية «برؤوس منكسرة»،.

كما أفتى بعضهم بمنع بناء الكنائس أو إصلاحها، وبحظر السلام على الأقباط أو التهنئة بعيدهم.

هذه الفتاوى ليست مجرد آراء فقهية؛ بل أدت إلى حوادث ميدانية. فأكثر من مرة منع سلفيون ترميم كنيسة وطالبوا بإزالة القباب والصلبان.

في قرى الصعيد، أدت مثل هذه الخطابات إلى حصار كنائس أو منع صلوات في منازل.

القنوات التلفزيونية السلفية روّجت لفكرة أن المسيحيين «صليبيون» أو «كفار»، مما غذى التوترات الطائفية.

السلفية، بهذه الفتاوى، تحول الإسلام من دين رحمة إلى أداة للتمييز، وتُضعف الوحدة الوطنية خدمة لأعداء الأمة.

النتيجة: مجتمع مشتت، ينظر بعضه إلى بعض بعين الريبة، بدلًا من التعاون في بناء الوطن.

العلمانية.. محاربة الأديان وتفكيك القيم

العلمانية، في صورتها المتطرفة في مصر، لا تكتفي بفصل الدين عن الدولة، بل تتحول إلى حملة منظمة لمحاربة الأديان ونشر أفكار تهدم القيم الدينية والأخلاقية.

بعض المثقفين والناشطين العلمانيين يروّجون للإلحاد، ويُسخرون من الثوابت الدينية للمسلمين والمسيحيين على حد سواء، معتبرين الدين «سبب التخلف».

يدعون إلى «زواج مدني» يتجاوز الأحكام الشرعية والكنسية، ويُروّجون لقيم غربية مثل: الشذوذ الجنسي والإجهاض والمساكنة والحرية المطلقة في العلاقات، مما يُصدم القيم الأسرية المشتركة بين المسلمين والمسيحيين.

في وسائل التواصل والصحافة، يُقدمون الدين كـ «أفيون الشعوب»، ويُهاجمون الكنيسة والأزهر معًا بتهمة «الرجعية».

هذا الخطاب يُثير غضب الغالبية الدينية، فيُتهم المسيحيون أحيانًا بـ«التواطؤ» مع العلمانيين، أو يُنظر إلى المسلمين كـ«متطرفين» إذا دافعوا عن معتقداتهم.

النتيجة: تفكك اجتماعي، حيث يفقد الشباب الثقة في الدين كمصدر للأخلاق، ويُصبح المجتمع عرضة للانقسام بين «متدينين» و«علمانيين».

العلمانية، بهذا، لا تبني دولة محايدة، بل تُهدم الرابط الروحي الذي يجمع المصريين - المسلم والمسيحي - في قيم مشتركة مثل العفة والأسرة والوطنية، فهي تُمهد لفراغ قيمي يستغله المتطرفون من الجانب الآخر، ويساعد أعداء الوطن على تقسيمه.

دعوة للتكاتف

أيها المصريون، مسلمين ومسيحيين، إن فهم حقوقكم وواجباتكم بهذا التفصيل يحميكم من الفتنة، ولا تدعوا أحدًا يقنعكم بأن المواطنة «درجات» حسب الدين.

الدستور والإسلام يقولان: حقوق واحدة، وواجبات واحدة، فمارسوا حقوقكم بالمشاركة، وأدوا واجباتكم بالولاء، فبهذا نبني مصر قوية موحدة، لا تُقسم ولا تُفتت.

لنحافظ على وحدتنا كما حافظ عليها أجدادنا في ١٩١٩م و١٩٧٣م، فمصر ليست للمسلمين فقط، ولا للمسيحيين فقط؛ مصر للمصريين جميعًا.

إن وقفنا صفًّا واحدًا، فلن ينال منا عدو، ولن يفلح مخططه لتفتيت الوطن، فالوحدة قوة، والفرقة هزيمة.

والآن.. الوحدة هي أعظم حق، والتكاتف أسمى واجب.

وإلى المقال المقبل لبيان دور الطريقة العزمية منذ عهد الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم ﷺ وحتى الآن في لم شمل الشعب المصري، وتقليل الفجوة بين المسلمين والمسيحيين؛ حتى لا يدخل منها العدو.

وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وسلم.

معارج المقربين
(٢٥)

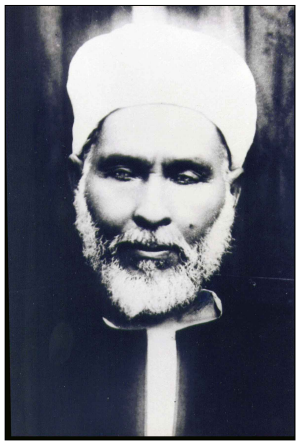

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

بقية الركيزة الرابعة: الأخلاق

الأخلاق الصادقة الإسلامية:

الإنسان من حيث فطرته الإنسانية مستأنس ألوف بما أودع فيه من الجمالات الحقيقية، التي ميزته عن جميع الكائنات الأرضية، وإنما المعاشرة سبب من أسباب المزاحمة الإبليسية، وقد يظهر للمتأمل أن الإنسان قد اكتسب من الحيوانات البهيمية خلالًا خاصة بها، كالسلب والنهب وسفك الدماء، والتحايل على اكتساب العيش بأي وجه من الوجوه، وهو الأمر الذي لا يفعله إلا من لا عقل له، ولا علم يكتسب به من وجه حل موافق للائتلاف والعمران، فإن الحق سبحانه وتعالى ربط العمران بعضه ببعض، فجعل هذا مميزًا بصفة خاصة به ينتفع بها بنو جنسه، وينتفع منهم بها آونة أخرى، وهكذا.

وأما الحيوانات فجعل لكل نوع منها وقاية تقي ظاهره، ويجلب بها ما يحتاج إليه، وألهمها كيف تشغل تلك القوى.

ثم أفاض على الإنسان – فضلًا منه – قوى إلهية من قواه الربانية، قهرت تلك القوى الحيوانية، ودبرتها على حسب ما به يكون العمران، فاستأنست النافع من الحيوانات بهذا العلم المفاض من الحق، وقهرت الحيوانات الأخرى التي لا تنفع. كل هذا بالحكمة السماوية، فكل إنسان لم يعتن بهذه الحكم السماوية، واللطيفة النورانية، واستعملها في غير ما وضعت له، انحطت رتبته، واستعمل الحيل الحيوانية في جلب ضرورياته. كل هذا اكتسبه الإنسان من معاشرته للحيوانات، ولذلك نرى أن الذين يعيشون في البلاد الكثيرة الحيوانات المفترسة ويشهدونها، يتخلقون بأخلاقها، ويستعملون أعمالها.

وقد تفضل الله سبحانه وتعالى فأرسل الرسل بالأخلاق الطاهرة الزكية، والصفات البارة الربانية، وجملهم بأكمل الأوصاف وأعظم الخلال، وأمرهم أن يدعوا الخلق للخالق، وأيدهم سبحانه بالدلائل المعجزة للخلق، التي هي في قوة صدق عبدي فاتبعوه. فانقاد الناس لاتباع هذا النور، وخصوصًا من وفقهم الله بهدايته للدخول في دينه، فأتوا بالنواميس الربانية، وبينوا ما يحتاج إليه الإنسان في دينه ودنياه وآخرته، وطلب ربه سبحانه وتعالى، بأقوالهم وأعمالهم وإشاراتهم، كل شيء بما يليق به من تصريح أو تلويح، فسلم المسلمون وأسلموا، وخالف المخالفون وتخلفوا.

فالأخلاق المرضية محصورة في كتاب الله تعالى، وما بينه سيدنا رسول الله ﷺ بقوله وعمله. فكل من علم تلك الأخلاق وعمل بها ظاهرًا وباطنًا، فهو الإنسان الكامل في الإنسانية.

ولما كانت النواميس الربانية موجبة وجوبًا عينيًّا القصاص والتعزير، وإظهارها بالحبس والسيف على حسب ما يناسب الحال والشأن، ظهر جليًّا أن الرادع الشرعي للإنسان أمران: القرآن والسلطان، والإنسان الذي طهرت أخلاقه وصفاته لا يحتاج لوازع غير القرآن؛ لأن القرآن الشريف وضح وبيَّن وأظهر ما به سعادة المؤمن، وهذا الإنسان المشاهد بنور بصيرته حقيقة الواجب الشرعي، قام بالواجب الذي إذا قصر عنه لا يكون له حظ في الدين. ومن حافظ على الواجب فهو مسلم من عامة المسلمين. وبقدر صدقه في تأدية الواجب ينال الجزاء.

وإنما ينال مرضاة الله تعالى من لم يقف به العزم على حد الواجب، بل يسارع في القربات، ويبادر إلى النوافل بكل أنواعها، فيتقرب إلى ربه ببذل كل عظيم من مال وزمان وشرف وشهرة وعلو في الأرض وعافية وقوة وغير ذلك، بسرور وانشراح ومداومة، وتجدد ومزيد غير واقف عندما يزول، بل بغيته رضوان الله وفضله، صغرت في عينه كل قربة وعمل ومال، فكان في كل نفس يزداد إقبالًا ومسارعة، ويزداد على عمل العناء والتعب سرورًا ونشاطًا، طارحًا كل جزاء وشرف ورفعة في الدنيا، وملك ونعمة في الآخرة وراء ظهره. وبهذا ينال العبد رضاء ربه، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ (الحديد: ٢٧). فالواجب واجب لشكر المنعم، والإقرار بالعبودية، وإنما نوال الرضا لا يكون إلا بأن يرخص في عينه كل نفيس في جانب بذله للقربة، ونوال الرضا من الله تعالى.

الأخلاق:

هِيَ الأَخْلَاقُ أَسْرَارُ الْمَعَالِي
تُفَاضُ عَلَىٰ أُولِي الْهِمَمِ الْعَوَالِي
تَرىٰ الإِنْسَانَ إِنْسَانًا عِيَانًا
وَتَشْهَدُهُ بِهَا نُورَ الْمِثَالِ
يَلُوحُ عَلَيْهِ نُورُ الْوَصْفِ يُجْلَىٰ
كَمَا يُجْلَىٰ عَلَى الْمَلَكِ الْمُوَالِي
بِأَخْلَاقِ الْمُهَيْمِنِ قَدْ تَحَلَّىٰ
فَحَلَّ مَقَامَ أَعْلَىٰ بِالْجَمَالِ
فَذُلِّي لِلْعَلِيِّ بِهِ فَخَارِي
وَفَقْرِي لِلْغَنِيِّ بِهِ نَوَالِي
بِأَصْدَادِ الصِّفَاتِ أَنَالُ قُرْبِي
وَأَحْظَىٰ مِنْ إِلٰهِي بِالْوِصَالِ
بِأَخْلَاقِ الْمُرَادِ وَقَدْ أَضَاءَتْ
بِأُفْقِ الْقَلْبِ شَمْسُ الإِتِّصَالِ
عَلَى الْخُلُقِ الْعَظِيمِ بِهِ رُقِيِّي
لِأُفْقِ شُرُوقِ أَنْوَارِ الْمَجَالِي
بِهِ أَنَا عَبْدُ ذَاتِ اللَّهِ شَغَفِي
بِتَحْقِيقِي بِمَنْزِلَتِي وَحَالِي
بِذُلٍّ وَافْتِقَارٍ وَاضْطِرَارٍ
وَرَغَبٍ ثُمَّ رَهَبٍ مِنْ جَلَالِ
وَحَالِي بَيْنَ شُكْرٍ لِلأَيَادِي
مِنَ الإِحْسَانِ أَوْ بَيْنَ ابْتِهَالِ
وَبَيْنَ الْعَجْزِ عَنْ حَصْرِ الأَيَادِي
وَعَنْ حَصْرِ الْعَطَايَا بِالْمَقَالِ
وَبَيْنَ تَضَرُّعٍ لِزَوَالِ بُؤْسٍ
وَطَمَعٍ فِي إِجَابَتِهِ سُؤَالِي
وَأُنْسٍ بِالتَّجَلِّي حَالَ صَفْوِي
وَطَمَعٍ فِي السَّعَادَةِ فِي الْمَآلِ
عُبَيْدٌ وَصْفُ سَيِّدِهِ تَجَلَّىٰ
وَفِي كُلِّ الْمَظَاهِرِ قَدْ بَدَالِي
فَلَمْ تُشْهَدْ لِيَ الآثَارُ إِلَّا
لِيَرْأَىٰ نُورَ مُبْدِعِهَا خَيَالِي
وَمَا شَهِدَتْ عُيُونُ الرَّأْسِ أَثَرًا
فَحَجَّبَنِي عَنِ الْمَعْنَى الْمِثَالِ
وَلٰكِنِّي بِعَيْنِ الْقَلْبِ أَرْأَىٰ
جَمَالًا مَاحِقًا فَيْءَ الظِّلَالِ
بِهِ سَمْعِي وَبَصَرِي بَلْ وَنُطْقِي
وَبَطْشِي لَا بِمَزْجٍ وَانْفِصَالِ
وَكُلُّ مَعَالِمِي نُورٌ تَسَامَىٰ
يَلُوحُ بِهَا بِلَا قَيْدِ اعْتِقَالِ
فَتَشْهَدُهُ بِهِ فِيهَا تَعَالَىٰ
فَنَزِّهْ عَنْ حُلُولٍ وَانْتِقَالِ
مَقَامُ الْعَبْدِ فَوْقَ الْعَقْلِ قَدْرًا
يَكَادُ بِهِ يَكُونُ مِنَ الْمُحَالِ
فَقُرِّبَ بِالْقَرِيبِ إِلَىٰ قَرِيبٍ
وَبُعِّدَ عَنْ بَعِيدٍ بِالْعِقَالِ
وَنُورُ اللَّهِ سِرُّ الْحُبِّ يُعْطَىٰ
بِفَضْلِ اللَّهِ لَا بِالإِنْفِعَالِ
وَمَا أُخْفِي لِعَبْدِ الذَّاتِ غَيْبٌ
عَنِ النَّفْسِ الَّتِي ذَاقَتْ مَقَالِي
بِقَدْرِ الْمُنْعِمِ الْوَهَّابِ يُعْطَىٰ
فَفِرَّ عَنِ التَّشَكُّكِ وَالْجِدَالِ
فَفَضْلُ اللَّهِ مَوْلَانَا عَظِيمٌ
يُنَالُ بِفَضْلِهِ مَحْضَ النَّوَالِ
وَعَبْدُ الذَّاتِ فَرْدٌ قَدْ تَحَلَّىٰ
بِأَخْلَاقِ الْمُهَيْمِنِ وَالْجَمَالِ
عَزِيزٌ بِالْعَزِيزِ عَظِيمُ قَدْرٍ
بِمَوْلَاهُ سَمَا رُتَبَ الْمَعَالِي
سَقَاهُ الْمُصْطَفَىٰ رَاحًا طَهُورًا
وَجَمَّلَهُ بِحُلَلِ الإِتِّصَالِ
وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ بِهِ فَصَحَّتْ
مَعَارِجُهُ عَلَىٰ نَهْجِ الرِّجَالِ
هِيَ الأَخْلَاقُ نِسَبٌ وَاتِّصَالٌ
إِلَىٰ أَوْجِ التَّنَزُّلِ وَالْمَجَالِي
هِيَ النَّسَبُ الْقَرِيبُ إِلَىٰ قَرِيبٍ
وَحِصْنُ الْحِفْظِ مِنْ كُلِّ الْوَبَالِ
وَهَدْيُ الْمُصْطَفَىٰ مِعْرَاجُ قُرْبٍ
إِلَىٰ نَيْلِ السَّعَادَةِ وَالْوِصَالِ
عَلَىٰ ذَاتِ الْحَبِيبِ صَلَاةُ رَبِّي
وَأَصْحَابٍ وَأَحْبَابٍ وَآلِ

الأخلاق المرضية محصورة في كتاب الله تعالى، وما بينه سيدنا رسول الله ﷺ بقوله وعمله. فكل من علم تلك الأخلاق وعمل بها ظاهراً وباطناً، فهو الإنسان الكامل في الإنسانية.

السماع والعيان:

إذا أشرقت على القلب أنوار اليقين من فضل الله تعالى، تلقى خبر الصادق من حيث التصديق به، والعمل بأمره، كتصديق وعمل المعاين المشاهد، وهو الإيمان حقيقة الذي مدحه الله تعالى، وأثنى على أهله. وذلك لأن الأرواح في عالم الذر، شهدت الجمال

المرشد مكلف شرعًا أن لا يصطفي لأسراره إلا الذين يسمعون منه الحكمة والمعرفة، ليكملوا أنفسهم ويعملوا ليزداد إيمانهم، لا الذين يستمعون القول فيجادلوا به، ويطلبوا به العاجل الفاني فيكونون أبوابًا مفتحة للفساد، أو سرجًا تضيء لتحترق.

الإلهي، وسمعت الخطاب الرباني، فهي في شوق إلى ما شهدت وسمعت، فإذا أخبرها الصادق اطمأنت وسكنت إلى الحق لما ذاقته من معاني خبره، الذي صادف ما تشتاق إليه، فوقع موقع الشهود العيني.

ولذلك ترى كثيرًا ممن لا يتصورون المعاني الإلهية، ولا الحقائق العلمية، إذا أخبر بحقيقة ما حنَّ إلى تلك الحقيقة، وإذا أمر بأمر قام به بشوق، مسارعًا مداومًا عليه، مشاهدًا فيه ما لم يشهده غيره ممن علم. بينما نرى أن كثيرًا ممن علموا يتهاونون بالأوامر، وربما وقعوا في المنهيات، فيستنتج من هذا أن خبر الصادق عند الممنوح، كرفع الحجاب عند أهل اليقين. والوسعة في العلم لا تقتضي الشوق والحب، ولذلك فالله تعالى أثنى على الذين يؤمنون بالغيب ثناء حقيقيًّا، وأخبر أنهم هم المفلحون، وأخبر أنهم يوقنون بالآخرة.

فالإيمان مواهب إلهية، به النور والنجاة، فإذا منَّ الله بالعلم لعبده، كان ذلك من الفضل العظيم، وبهذا أرى أن العلم غير الإيمان، وأن الإيمان لا بد منه قبل العلم. والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلمون الإيمان قبل القرآن، فيزدادون إيمانًا بالقرآن على إيمانهم.

ومن هذا ترى أن أهل الله يحبون أهل التسليم والانقياد؛ لأنهم أول أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، الذين يقع منهم خبر الصادق موقع عين اليقين لصفاء قلوبهم. وهم الذين يعملون جميع الأركان والنوافل بشوق لشدة مشاهدتهم، وكمال تصديقهم؛ إلا أنهم يحتاجون إلى المرشد الكامل، والحكيم العارف، الذي يخبرهم بما يناسب نفوسهم من العلم والعمل؛ حتى يكون لهم رقي مناسب لقواهم، لينهجوا على المنهج الوسط، لتكون أحوالهم متوازنة بين الروح والجسد، ويدوم مزيدهم حتى يبلغوا من العلم أعلاه، ومن المعرفة أكملها.

وبذلك يكون الإنسان مؤمنًا حقيقة، عاملًا من عمال الله تعالى، مسارعًا إلى مرضاته من جهاد وإنفاق وعبادة ومعاملة، علمًا وكشفًا. وهذا الإيمان هو المطلوب من كل إنسان، بالنسبة للداعي إلى الله سبحانه على بينة، ثم بعد التصديق والإقرار يتلقى منه العلم، عاملًا بأوامره منتهيًا عن نواهيه.

أما أهل الجدل والغرة بالله تعالى – ممن أبعدهم الله عن نور التسليم – أو الهمج الرعاع – الذين ينقادون ويتبعون كل ناعق من غير تبصرة ولا علم – فإن الداعي إلى الله تعالى يدعو إلى التوحيد الذي هو صبغة النفوس الزكية، وإلى الفضيلة من العمل والخلق، وصلة الرحم، وإكرام الجار، وتقبيح الطمع والحرص وكل قبيح لدى العقول السليمة – أما أهل الجدل والهمج، فإن الله سبحانه قطع المجادلين لغرورهم بعقولهم المكسوفة، وعلومهم التي هي جهل، وآرائهم الفاسدة. وأما الهمج فإن الله سبحانه أبعدهم لحرمانهم من نور العقل، الذي به التمييز بين المحق والمبطل، ولعكوفهم على الحرص على النفع العاجل، وصرف هممهم عن الخير الآجل؛ لأنهم لم يمنحوا نور التسليم للحق، ولا نفسًا زكية تتصور معاني الحق.

وهذان النوعان في الناس كثيرون، وهم أعداء ما جهلوا. فالداعي إلى الله تعالى عليه أن يتحفظ على أهل التسليم من أهل الجدل، ويتحفظ على نفسه من الجهلاء الهمج. فإنهم لا يلبثون معه إلا ريثما يسمعون ناعقًا بباطل فيميلون إليه ويقصدونه. أو يسمعون سرًّا من المرشد من أسرار الحكمة، وغرائب العلوم، ولطائف المعرفة، فينشرونها أمام أهل الغرة والجدل. أو يزيدون عليها من الثناء على المرشد، وذكر أوصاف يكرهها وتنكرها النفوس، فيفتحون على أنفسهم أبواب الإنكار، وغوغاء أهل الفساد، مع عجزهم عن رد أباطيل المفسدين، ومداراة المغرورين.

فالمرشد مكلف شرعًا أن لا يصطفي لأسراره إلا الذين يسمعون منه الحكمة والمعرفة، ليكملوا أنفسهم ويعملوا ليزداد إيمانهم، لا الذين يستمعون القول فيجادلوا به، ويطلبوا به العاجل الفاني فيكونون أبوابًا مفتحة للفساد، أو سرجًا تضيء لتحترق.

والصالحون المصلحون قليلون، وواحد منهم كأمة، فليجتهد العارف بالله تعالى، ويجاهد ليفوز بمن يفقه علومه به، ويتجمل بأحواله وأخلاقه، ويكون رحمة للناس ونورًا لهم، يدعو إلى الله تعالى على بينة من أمره، ومنهج الأئمة الهادين، والله ولي التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المواجهة:

هي صفاء القلب، واستراحة النفس الملكية من شواغل النفوس، ومن لوازم الجسم اللازمة له بحسن يقين ونور علم، وأمن على النفس والمال والولد، وتوكل حسن وادكار.

فإذا حصلت تلك المواهب للطالب الصادق، تجلى للقلب نور المعية، وللنفس أسرار معاني الأسماء، فتجمل الطالب بجمال الأخلاق، وأنس بالحضور، وغاب عن دواعي النفوس ولوازم الجسد غيبة سرور بما فاز به من الجمالات، وما انكشف له من الكمالات، وما تكشف له من دناءة الدنيا وما فيها من زهرتها، ودام له هذا الأنس حتى صار لازمًا له، بمزيد في كل نفس حتى يكون مقامًا له لا حالًا.

وفي هذه الحالة يكون مؤهلًا للمواجهة، وهي أن يمنح نفثة الروح القدسية، فينظر بعين القدس، وينطق ويبطش، ويكون مواجهًا بجميل الوجه وجماله، حاضرًا في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وهي منزلة الأفراد المحبوبين، المطلوبين للجانب العلي، وللفوز بمشاهدة الولي، والله ذو الفضل العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وورثته وسلم.

خير الأمور الوسط:

معلوم أن التغالي بطلان، والتهاون عن الوسط خسران، ذلك في الأمر كله، والوسط هو الخير الحقيقي.

والفضيلة الكاملة مختلف فيها، فقيل: ما يحكم به العقل السليم، وقيل: ما دلت التجربة على حقيقة نفعه وصحة خيره، وأجمع أهل التجربة على فائدته. وذلك وسط، ولكنه ليس هو الوسط الذي يطمئن به القلب، وتحصل به السعادة في الدنيا والآخرة، وينتج الإقبال والقبول، وتوارد الواردات الحقة، والأنوار الربانية.

والوسط الذي هو الفضيلة والخير البحت، والسعادة القصوى التي وعدها الله تعالى عباده الصالحين، هي الأوامر التي أمر الله بها، ورغب في عملها، وندب إليها من فرض ونفل. وأدنى تلك الفضائل أن يتحصن بالحد الفاصل بين الحق والباطل. وأكملها أن يتجمل بالعزائم والمسارعة إلى العمل الشاق من أعمال البر وتحمل مرارة جميل الأخلاق، من العفو والسماح والتواضع، والإحسان إلى المسيء، وصلة القاطع، وود البغيض. وما أشبهها مما لا يقوم به إلا من أعانهم الله سبحانه بعنايته. هذا هو الوسط.

والوسط في الاعتقاد أن يعقد قلبه على العقيدة الحقة، التي قررها القرآن وسكن إليها، ولا يبالغ في ذلك ولا يعادي أهل الإيمان، ولو أنهم لم يبلغوا مبلغه في العلم، ولا يرفع الخلق إلى درجه تجعله بما وقع في الشرك. وليضع كل إنسان موضعه، وكل مخلوق قدره الذي يجب له شرعًا.

هذا وإن كثيرًا من أهل الإيمان يظنون بالناس جميعًا خيرًا، فيوقعونهم في مضار كثيرة، وأنا أستحسن أن تظن بالناس خيرًا، ولكن تحتاط في معاملتهم حيطة تحفظ لك مودتهم، وتبقى لك عشرتهم، وليكن الاحتياط بطرق تخفى على الناس؛ حتى لا يشعروا منك أنك تحطاط منهم، فيسيئوا بك الظن، وتقع في مضرة عملهم.

واجعل حسن ظنك بالله سبحانه وحده، وثقتك به سبحانه وتعالى. واحترس من الناس جميعا احتراسًا لا يجعلك تقطعهم، ولا تتهاون لهم تهاونًا يفسدهم. ولكن كن يقظا، لا ينسيك حسن عملهم، وخضوعهم وإقبالهم، وسوسة الشيطان لهم، وإفساده لقلوبهم، وإبعادهم وتغيير حالهم.

فكن معهم إن أحسنوا، متوسطًا لهم، حتى إذا أساءوا لم تنزعج؛ لأنك متيقظ لهذا، متحقق أنهم محل الإحسان والإساءة، فتحذر السوء منهم في أكمل أحوال إحسانهم، فإن الحاجة والضرورة والخوف، ورغبة الخير، ظواهر تضطر الإنسان أن يظهر بالبر والإحسان والخشوع والخضوع. كما ترى الملتصقين بالسلاطين، كيف يخضعون ويتذللون لهم، ويمدحونهم ويقبلون منهم القبيح بأحسن القبول، بسرور من قبولهم الحسن من غيرهم؛ حتى إذا نكبتهم نكبات القضاء، تنكروا عليهم.

وكذلك المريدون، فإنهم – مع حسن إقبالهم، وجمال أعمالهم، وكمال تصديقهم - لا يؤمن عليهم من لمة الشيطان، وحظوظ النفس والهوى، فربما انقلبوا أعداء للحق.

فالعارف اليقظ في كل نفس، ينتظر ذلك، ويعمل بكل حيطة، لحفظ إخوانه من الفتور أو التهاون، أو الغفلة أو القطيعة. فإذا حصل شيء من ذلك، لم ينزعج لعلمه بالنفوس، وسرعة تغيرها، وينتظر فيئة الأخ إن كانت مما يعتاده المريد من الأحوال التي تحصل من المؤمنين، كالتساهل بالزيارة أو البحث عن حقيقة، أو العمل بأكثر مما أمر به.

أما إن كانت ناتجة عن خبث في النفس، وسوء في العقيدة، وظلمة في القلب، وسابقة السوء - والعياذ بالله تعالى - فالأولى للعارف أن يداريه مداراة تجعله بدلًا من أن يشغله بإساءته، يستريح من شره، ويحفظ إخوانه من كيده، والله هو الحفيظ.

والوسط في العبادة اقتداء بالسيد ﷺ، حتى لا يدخل على نفسه الغرور بالغلو، ولا نسيان للخير بالتهاون، فالوسط خير الأمور، والله تعالى هو الموفق لا إله سواه.

إن كثيرًا من أهل الإيمان يظنون بالناس جميعًا خيرًا، فيوقعونهم في مضار كثيرة، وأنا أستحسن أن تظن بالناس خيرًا، ولكن تحتاط في معاملتهم حيطة تحفظ لك مودتهم، وتبقى لك عشرتهم، وليكن الاحتياط بطرق تخفى على الناس؛ حتى لا يشعروا منك أنك تحطاط منهم، فيسيئوا بك الظن، وتقع في مضرة عملهم.

الإنسان خليفة الله في الأرض (٣٨)

مقدمة

لما كان الإنسان جوهرة عقد المخلوقات وعجيبة العجائب، وقد جمع الله فيه كل حقائق الوجود مما خلقه في الأرض والسماء وما فيهما، خلقه الله ليعمر به ملكه وملكوته، وجعله خليفة عنه في أرضه، والخليفة في الأرض هو سيد مَن في الأرض ومَن في السماء، وجعل له ملك الأرض مقرًّا للإقامة ومستقرًّا له بعد موته، ثم ينشئه النشأة الثانية، فيمنحه الملك الكبير.

لذلك ابتلاه الله تعالى بأن سخر له ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه، وصرَّفه تصريف الربوبية في المُلْك، فكل ما في المُلْك والمَلَكُوت مسخَّر له بإذنه تعالى.

فإن ذَكَر الله وأطاعه من غير أن يعصيه، وشَكَره فلم يكفره، ووحَّده فلم يجحده؛ تفضل عليه بالملك الكبير، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان: ٢٠)، وهذا الملك الكبير هو للإنسان الذي اتبع رسول الله ﷺ حق الاتباع.

وللعقول أن تحتار في الإنسان!، فبينا تراه وروحه الطاهرة سانحة في ملكوت الله الأعلى، مشرفة على قدس العزة والجبروت؛ وإذا بك تراه في أسفل سافلين، أضل من الأنعام وشرًّا من الشياطين، وفوق الأرواح العالية، بل فوق عالين، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ (محمد: ٣٥).

لذلك أحببت أن أشرح عجائب قدرة الله في الإنسان، وما سخره الله له من الكائنات، وسبيل نجاته وسعادته، ومهاوى هلاكه وضلاله، وما فصله الإمام المجدّد السيد محمد ماضي أبو العزائم عن حقيقة الإنسان، والحكمة من إيجاد الخلق، وبدء الحقيقة الإنسانية، وإرسال الرسل، وتأثير الإسلام على الإنسان، ونجاة الإنسان بالمصطفى ﷺ، وما ادعاه أهل الجهالة في خلق الإنسان ورد الإمام أبي العزائم عليهم؛ حتى يتبين للسالك حقيقة خلافة الإنسان عن ربه، ليسلك سبيل السعادة والنجاة، ويتعلق بالإنسان الكامل الذي خلق الله لأجله كلَّ الموجودات ﷺ.

* أبو بكر الصديق أول خطيب دعا إلى الله ورسوله.

* بعد ثلاث سنوات جاء الأمر بإعلان شأن الدعوة الإسلامية.

* بعد يوم الدار كان الإمام علي لرسول الله ﷺ أخًا وصاحبًا ووارثًا ووزيرًا.

بقية: مرحلة جديدة لإصلاح المجتمع بعد بعثة النبي ﷺ

أهل الإيمان يمتلكون القوة الإيمانية والصبر والعزيمة:

هؤلاء الرجال الذين آمنوا وإن كان الكثير منهم ضعفاء؛ إلا أنهم كانوا قوة ضاربة في وجه أهل الكفر، فزلزلوا بقوة إيمانهم عروش أهل الطغيان من أهل الجاهلية الأولى.

وبدأ يجتمع حول حضرة النبيّ ﷺ صفوة المجتمع الرافضين لأعمال الجاهلية؛ بمجرد أن شهدوا شعاعًا من النور يخلص المجتمع من هذا الظلام.

إلا أنه - ومع بدء انتشار الخبر بظهور الفئة المؤمنة - خاف أهل الكفر على عروشهم وعبيدهم ومصالحهم القائمة على الظلم والتسلط، فبدأت المقاومة منهم ليطفئوا نور الله؛ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

فكان أهل الإيمان - مع قلتهم وضعف شوكتهم - يمتلكون من القوة الإيمانية والصبر والعزيمة ما جعلهم يتصدون لهذه المقاومة بثبات؛ حتى وإن فقدوا أرواحهم وأموالهم وأهليهم نصرة لقضيتهم الحقة.

أبو بكر أول خطيب دعا إلى الله ورسوله:

ومما أورده الإمام المجدّد السيد محمد ماضي أبو العزائم: ألح الصِّدّيق على النبيّ المصطفى ﷺ أن يظهر بالصحابة في المسجد الحرام، وقال رسول الله: (يَا أَبَا بَكْر إِنَّا قَلِيل)، فلم يزل به حتى خرج ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم.

وقام أبو بكر خطيبًا ورسول الله ﷺ جالس، ودعا إلى الله ورسوله؛ فهو أول خطيب دعا إلى الله ورسوله.

السيد أحمد علاء أبو العزائم
نائب عام الطريقة العزمية

فثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين يضربونهم، وَوُطِئ الصِّدّيق بالأرجل، وصار عتبة بن ربيعة يضرب الصِّدّيق بشدة بنعلين مخصوفتين على وجهه رضي الله تعالى عنه؛ حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه.

فجاءت بنو تيم - قبيلة أبي بكر - يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وأدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، ثم رجعوا إلى الصِّدّيق وجعلوا يكلمونه وهو لا يجيب.

حتى إذا كان آخر النهار تكلم وقال: ما فعل رسول الله ﷺ فعذلوه، فصار يكرر ذلك، فقالت أمه: والله ما لي بصاحبك علم، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب - أخت عمر رضي الله عنه -، فإنها كانت أسلمت، وهي تخفي إسلامها، فاسأليها عنه، فخرجت إليها وقالت: إن أبا بكر يسأل عن محمد، فقالت: لا أعرف محمدًا ولا أبا بكر.

ثم قالت لها: تريدين أن أخرج معك؟، قالت: نعم، فخرجت معها إلى أن جاءت أبا بكر فوجدته صريعًا، فصاحت وقالت: إن قومًا نالوا منك لأهل فسق، وإني لأرجو الله أن ينتقم منهم.

فقال أبو بكر لابنة الخطاب: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت له: هذه أمك تسمع، قال: فلا عين عليك منها - أي لأنها لا تفشي سِرَّك - قالت: سالم، فقال: أين هو؟، فقالت: في دار الأرقم بن أبي الأرقم.

فقال: والله لا أذوق طعامًا، ولا أشرب شرابًا حتى آتي رسول الله ﷺ.

قالت أمه: فأمهلناه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس فخرجنا به يتكئ عليّ، حتى دخل على رسول الله ﷺ فرَقَّ له رقة شديدة وأكب عليه يقبله، وأكب عليه المسلمون كذلك.

فقال: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، ما بي من بأس إلا ما نال الناس من وجهي، وفي رواية: زال عني كل ألم برؤيتك يا رسول الله، وهذه أمي برة بولدها فعسى الله أن ينقذها بك من النار، فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت. "النجاة في سيرة سيدنا رسول الله ﷺ".

ابن مسعود والجهر بالقرآن

ولم يكن مثل تلك الأحداث لتهز جبل الإيمان في قلوب المسلمين؛ بل على العكس تزيدهم إصرارًا وتمسكًا، ولا أدل على ذلك مما حدث مع ابن مسعود رضي الله عنه.

يقول الإمام أبو العزائم: ومما وقع لابن مسعود رضي الله تعالى عنه من الأذية؛ أن أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا يومًا فقالوا: والله ما سمعت قريش القرآن جهرًا إلا من رسول الله ﷺ فمن فيكم يسمعهم القرآن جهرًا؟، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: أنا، فقالوا: نخشى عليك منهم؛ إنما نريد رجلًا له عشيرته يمنعونه من القوم. فقال: دعوني فإن الله سيمنعني منهم.

ثم إنه قام عند المقام وقت غروب الشمس، وقريش في أنديتهم فقال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - رافعًا بها صوته - ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ...﴾ واستمر فيها، فتأملته قريش وقالوا: ما بال ابن أم عبد؟!، فقال بعضهم: يتلو بعض ما جاء به محمد.

ثم قاموا إليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءته، حتى قرأ غالب السورة، ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أدمت قريش وجهه، فقال له أصحابه: هذا الذي خشينا عليك منه، فقال: والله ما رأيت أعداء أهون عليّ مثل اليوم ولو شئتم لآتيتهم بمثلها غدًا، قالوا: لا، قد أسمعتهم ما يكرهون.

شدة الإيذاء من المشركين:

وغير ذلك نماذج كثيرة من الإيذاء، كما وقع لبلال وآل ياسر وغيرهم، وضربوا بذلك المثل الأعلى في الصبر والمصابرة.

كل ذلك ورسول الله ﷺ ينشر دعوته بخطوات ثابتة ليخرج العالم من الظلمات إلى النور، ويزداد حوله المؤمنون يومًا تلو الآخر، حتى فاض الكيل بشدة الإيذاء من المشركين.

الجهر بالدعوة:

بعد ثلاث سنوات من الدعوة إلى الله في السر بدأت مرحلة جديدة في الدعوة الإسلامية، إذ جاء الأمر من الله تعالى بإعلان شأن الدعوة الإسلامية فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

وكانت بداية الإعلان لذوي القربى فقال سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فلما جاء الإذن بإنذار الأقربين دعا رسول الله ﷺ الإمام عليًّا عليه السلام ليخبره بما جد في الأمر من حدث.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال لي: (يا عَلِيّ، إنَّ اللهَ أَمَرَنِي أنْ أُنذِرَ عَشِيرَتِي الأَقْرَبِين .... فاصْنَعْ لَنَا صَاعًا مِن طعامٍ، واجعل عليه رِجْل شاةٍ، وامْلَأْ لَنَا عُسًّا مِن لَبَنٍ، - أي قدحًا كبيرًا من لبن -، ثُمَّ اجْمَعْ لي بَنِي عبدِ المطلبِ حَتَّى أُكَلِّمهم وأبلِّغهم مَا أُمِرْتُ بِهِ).

وجرى الإعداد لذلك اللقاء، وجاء القوم فامتلأت الدار ببني عبد المطلب، فلما اكتمل الجمع أشار النبي ﷺ إلى الإمام عليّ وقال له: (هَلُمَّ طَعَامَك).

فأكلوا حتى شبعوا، وبقي الطعام كما هو كأنه لم يُمس، ثم قال ﷺ للإمام عليّ: (اسْقِهِمْ)، فطاف عليهم بإناء فشربوا حتى رووا، وبقي الشراب كأنه لم يُمس أو لم يُشرب.

ثم قام ﷺ عن مكانه ليحدّث القوم، وجلس الإمام عليّ صامتًا يسمع، وتكلم النبيّ ﷺ وقال: (يَا بَنِي عبدِ المطلبِ إنِّي بعثتُ إليكُم بِخَاصَّةٍ وإلَى النَّاسِ بِعَامَّةٍ، وقد رأيتُم من هذهِ الآيةِ ما قد رأيتُم، فأيُّكُم يُبَايِعُنِي عَلَى أَن يكونَ أَخِي وَصَاحِبِي وَوَارِثِي وَوَزِيرِي؟) فلم يقم إليه أحد.

فقام إليه الإمام عليّ عليه السلام - وكان أصغر القوم سنًّا -، فقال له ﷺ: (اجْلِسْ)، فعل ذلك ثلاث مرات.

ثم لما لم يقم أحد إلى رسول الله قال الإمام عليّ لرسول الله ﷺ: "لا يحزنك واللهِ إعنات القوم فعليهم ضلالتهم، وإني أنا يا رسول الله عونك، أنا حرب على من حاربت"، فضرب ﷺ بيده على يدي الإمام عليّ عليه السلام ثم قال: (أنتَ أَخِي وَصَاحِبِي وَوَارِثِي وَوَزِيرِي)، وأعرض القوم عن رسول الله ﷺ ساخرين.

وقد كانت تلك الكلمات بمثابة كشف لما تحمله الأيام للإمام عليّ كرم الله وجهه، فكان حقًّا أخاه وصاحبه ووارثه ووزيره ...

ومن ذلك أنه من بداية الدعوة كان الإمام عليّ ملازمًا لرسول الله ﷺ، فلا يُخفى عنه رسول الله ﷺ شيئًا، حتى وهو ﷺ في خلوته.

فعن عبد الله بن نجي قال: سمعت عليًّا يقول: "كنت أدخل على نبي الله ﷺ فإن كان يصلي سبّح فدخلت، وإن لم يكن يصلي أذِن لي فدخلت".

وقال عليه السلام: "كانت لي ساعة من السَّحَر أدخل فيها على رسول الله ﷺ، فإن كان في صلاته سبّح فكان ذلك إذْنه لي، وإن لم يكن في صلاته أذِن لي".

وكان عليه السلام كما وصفه رسول الله في قوله: (أَنتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي) "صحيح مسلم".

أبو طالب يدافع عن رسول الله ﷺ

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما أن أعلن الإسلام في قومه - كما أمره الله - لم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوتهم؛ إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل...

وعندها رق أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقام دونه ولم يسلمه لهم، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهرًا لأمره، فلما رأت قريش ذلك من أبي طالب ذهب رجال من قريش إلى أبي طالب ليعاتبوه لأنه لم يسلمهم رسول الله ﷺ، فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقًا، وردهم ردًّا جميلًا، فانصرفوا عنه.

تدريس الفقه المذهبي في الجامعات حضوريًّا وافتراضيًّا وآثاره التربوية (٥)

بقية: المبحث الأول

مذهبية الدرس الفقهي في المقررات الجامعية وآثاره التربوية

المطلب الثاني: مفهوم المذهبية الفقهية والاعتناء بها مقررًا دراسيًّا.

المذهب لغة: مصدرٌ ميميٌّ بمعنى مكان الذهاب وهو الطريق، والذهاب: السير والمرور، يقال ذهب يذهب ذهابًا وذهوبًا فهو ذاهب، والمذهب: مصدر كالذهاب، أي المعتقد الذي يذهب إليه[١] وتقول ذهب مذهب فلان: قصد قصده وطريقته[٢]. والمذهب في الاصطلاح: له إطلاقان، إطلاق عام، وإطلاق خاص.

ويُستعمل مصطلح ((المذهب)) بالمعنى العام، أي من حيث هو مذهب ولا اختصاص له بمذهب إمام دون غيره، كما يطلق هذا المصطلح على معنى خاص في مذهب إمام من الأئمة، فإن ضابط المذاهب: "أنها حقيقة عرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الاجتهادية"[٣].

يقول القرافي: في ضابط المذاهب ((أنها الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية، وأسبابها، وشروطها، وموانعها، والحجاج المبينة للأسباب والشروط والموانع))[٤].

وعلى الاستعمال الخاص أيضًا جاء تعريف المذهب عند شهاب الدين الحموي الحنفي بأنه: « مَا اخْتُصَّ بِهِ الْمُجْتَهِدُ مِنْ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ الِاجْتِهَادِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ الْأَدِلَّةِ الظَّنِّيَّةِ. وَهَذَا يَشْتَمِلُ جَمِيعَ مَذَاهِبِ الْمُجْتَهِدِينَ. وَالتَّعْرِيفُ الْخَاصُّ لِمَذْهَبِ إمَامِنَا هُوَ: مَا اُخْتُصَّ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَحْكَامِ.

ثم أورد تعريف شهاب الدين القرافي، فقال ما نصّه: "وَعَرَّفَ بَعْضُهُمْ الْمَذْهَبَ بِأَنَّهُ: الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ الْفَرْعِيَّةُ الِاجْتِهَادِيَّةُ وَأَسْبَابُهَا وَشُرُوطُهَا وَمَوَانِعُهَا وَالْحِجَجُ الْمُثْبِتَةُ لِلْأَسْبَابِ وَالشُّرُوطِ وَالْمَوَانِعِ»؛ وتعقّبه بقوله: «وَاعْتُرِضَ عَلَيْهِ بِوَجْهَيْنِ الْأَوَّلُ: أَنَّ نَفْسَ الْحُكْمِ الْمَذْكُورِ لَيْسَ بِمَذْهَبِ الْمُجْتَهِدِ؛ وَإِنَّمَا مَذْهَبُهُ الْمَسَائِلُ الِاجْتِهَادِيَّةُ الَّتِي يَكُونُ ذَلِكَ الْحُكْمُ مِنْ جُمْلَةِ مَبَادِهَا التَّصَوُّرِيَّةِ. الثَّانِي: أَنَّ الْبَحْثَ عَنْ السَّبَبِ وَالشَّرْطِ وَالْمَانِعِ وَالْحَجَّةِ لَيْسَ بِوَظِيفَةِ الْمُجْتَهِدِ أَصَالَةً وَإِنَّمَا وَظِيفَتُهُ قَصْدًا وَأَصَالَةً هُوَ الْبَحْثُ عَنْ الْأَحْكَامِ سَوَاءٌ كَانَتْ أَحْكَامَ الْأَدِلَّةِ وَالْأَسْبَابِ أَوْ الشُّرُوطِ أَوْ الْمَوَانِعِ. وَالْمُرَادُ مِنْ الْأَحْكَامِ: الْوُجُوبُ وَالنَّدْبُ وَالْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَالْكَرَاهِيَةُ. وَالِاجْتِهَادُ لُغَةً: تَحَمُّلُ الْمَشَقَّةِ فِي أَمْرٍ. وَاصْطِلَاحًا: اسْتِفْرَاغُ الْفَقِيهِ الْوُسْعَ لِتَحْصِيلِ الظَّنِّ بِحُكْمٍ شَرْعِيٍّ»[٥].

وإذا قلنا باستعمال المذهب بالمعنى العام، ولا اختصاص له بمذهب إمام دون غيره؛ فإنه يخرج من المذهب: الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة، والثابتة بدليل القطع لا يحكم فيها بأنها مذهب هذا أو ذاك.

وإنما ينسب إلى المذهب ما اختص به عن غيره في المسائل الاجتهادية فلا يقال مثلًا: الصلاة فريضة عند الشافعي، وإنما يقال: ينقض الوضوء بلمس المرأة عند الشافعي.. وهكذا، كما يخرج أيضًا: الأحكام الاعتقادية إذ قد اصطلح على تسمية المختلفين في فروعها فرقة وليس مذهبًا، فيقال: فرقة الخوارج، والمرجئة، والقدرية، والجبرية. وعليه؛ فالتمذهب هو: أن يُقلِّد من لم يبلغ درجة النظر والاجتهاد في علوم الشريعة مذهبًا من المذاهب الفقهية المعتبرة بأخذه برُخَصه وعزائمه، ولا يقلّدُ غير أهله.

والفقه: في اللغة: له معان متعددة، منها: العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة، وغلب على علوم الدين، ومن هذا قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]. وقوله جل شأنه: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]. وقول النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[٦].

ثم أُطلقت كلمة الفقه على ما تتناوله الأحكام الدينية بجميع أنواعها: العقائد، والأخلاق، والأحكام العملية، ومن هذا قول الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وكان هذا الإطلاق للفقه حتى قبل تكوين المذاهب الفقهية، ومما عُرّف به بناءً على هذا الإطلاق قول أبي حنيفة رحمه الله: " الفقه: معرفة النفس ما لها وما عليها "، وهنا يكون الفقه مرادفًا لكلمة: شريعة، وشرعة، وشرع. لكن هذا الاستعمال تغيّر ودخل على المصطلح شيئ من التخصيص وأطلق على الأحكام الشرعية العملية، فخرج بذلك علم العقائد، وعلم الأخلاق، وعُرّف بأنه " العلمُ بالأحكام الشرعية العملية المكتسبُ من الأدلة التفصيلية".

قال أبو حامد الغزالي في الإحياء: "الفقه: فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة والفتاوى، والوقوف على دقائق عللها، واستكثار الكلام فيها، وحفظ المقالات المتعلقة بها، فمن كان أشد تعمقًا فيها وأكثر اشتغالًا بها يقال هو الأفقه، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقًا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب، ويدلك عليه قوله تعالى ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان..... ولست أقول: إن اسم الفقه لم يكن متناولًا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر ."[٧].

وفي البحر المحيط: قال الحليمي في "المنهاج ": إن تخصيص اسم الفقه بهذا الاصطلاح حادث. قال: والحق أن اسم الفقه يعم جميع الشريعة التي من جملتها ما يتوصل به إلى معرفة الله، ووحدانيته، وتقديسه، وسائر صفاته، وإلى معرفة أنبيائه، ورسله عليهم السلام، ومنها علم الأحوال، والأخلاق، والآداب، والقيام بحق العبودية وغير ذلك. قلت: ولهذا صنّف أبو

الدكتور

محمود إسماعيل محمد مشعل

أستاذ الفقه وقواعده

بكلية الإمام مالك للشريعة والقانون بدبي

حنيفة كتابًا في أصول الدين وسماه " الفقه الأكبر"[٨].

ومن هذا يتبين أن الفقه قديمًا كان يشمل علم العقائد إضافة إلى الفروع، وبعد أن كثرت الفروع وتعددت وتباينت طرائق الاجتهاد ونشأت المذاهب الفقهية وانتشرت أطلق الفقه على العلم بالأحكام الشرعية العملية سواء أكان طريق معرفتها الاجتهاد بالاستنباط من أدلتها التفصيلية أم كان العلم بها ناشئًا عن طريق الأخذ والتفهم لأقوال الفقهاء، حتى أطلق على العارف بالفقه من طريق التقليد لأقوال الفقهاء المجتهدين فقيهًا.

ومما لا شك فيه أنّ بناء الطالب بناءً فقهيًّا على مذهبٍ معروف، وجادَّة مطروقةٍ أمتن وأقعد له وأقرب للاطراد والتناسق من البناء على اختيارات فقيهٍ متأخر لم يُحرَّر مذهبه - لا أصولًا ولا فروعًا - كتحرير المذاهب التي تعاقبت الأجيال على دراستها وتدريسها وشرحها واختصارها، ونصرها والاعتراض عليها ونقدها والاستدلال لها؛ فغدَت معروفةَ الأصول والفروع.

«فالمجتهد في مذهب الإمام أحمد ﷺ مثلًا: إذا أحاط بقواعد مذهبه، وتدرب في مقاييسه وتصرفاته: ينزل من الإلحاق بمنصوصات وقواعد مذهبه منزلة المجتهد المستقل في إلحاقه ما لم ينص عليه الشارع بما نص عليه، وهذا أقدر على ذا من ذاك على ذاك، فإنه يجد في مذهب إمامه قواعد ممهَّدة، وضوابط مهذبة، ما لا يجده المستقل في أصول الشارع ونصوصه، وقد سئل الإمام أحمد ﷺ عمن يفتي بالحديث: هل له ذلك، إذا حفظ أربعمائة ألف حديث؟ فقال: أرجو»[٩].

وعليه؛ فإنّ الأخذ بالتمذهب في التدريس يجد الناظر فيه (قواعد ممهَّدة، وضوابط مهذبة)، مما لا يجد مثله في فقه عالم معاصر ولا غير معاصر، ولسنا هنا بصدد خوض المعركة التاريخية في وجوب التقليد أو جوازه أو تحريمه، وليس القصد إلغاء القيمة العلمية لآراء المتأخرين، ولا تقرير عدم جواز التعبّد أو الفتوى بها، ولا الدعوة إلى التقليد المذهبي والتعصب، وإنما المراد تأكيد أهمية تصنيف المقرر على الجادَّة العلمية المسلوكة عند أهل العلم. وإذا نظرنا في كتب التراجم والطبقات وجدنا جلَّ الأئمة والعلماء، قد تفقهوا على مذهب من المذاهب المشهورة.

---

(١) لسان العرب – مادة ذهب ١٠٨١/٢.

(٢) القاموس المحيط ص ١١٠، والمصباح المنير ٢١١/١.

(٣) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: لأبى عبد الله محمد الحطاب (المتوفى ٩٥٤هـ) ٢٤/١، ط١ سنة ١٣٢٨هـ- مطبعة السعادة مصر.

(٤) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام: أحمد بن إدريس المشهور بالقرافي، (المتوفى ٦٨٤هـ)، ص ٩٨، المكتب الثقافي – القاهرة، ط١ ١٩٨٩م.

(٥) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر: للحموي، شهاب الدين الحسيني الحنفي (ت ١٠٩٨هـ)، (٣٠/١) دار الكتب العلمية، (١٩٨٥م).

(٦) صحيح البخاري، عن معاوية، برقم ٧١، باب مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، (١/ ٣٩)، دار ابن كثير، دمشق، (١٩٩٣م).

(٧) إحياء علوم الدين: للغزالي، (١/ ٤٧، ٤٨)، المكتبة العصرية بيروت.

(٨) البحر المحيط: للزركشي (٣٧/١).

(٩) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: للمرداوي (٢٦١/١٢- ٢٦٢).

مفهوم الهجرة (٢/١)

الهجرة والأخوة الإنسانية

إن الهجرة من مكان لآخر بمفهومها الواسع هى ظاهرة اجتماعية وجغرافية، تتكرر كل يوم فى كل مناطق العالم وقد ارتبطت بها حياة الإنسان عبر الأزمان، وقد كانت الهجرة النبوية من مكة إلى يثرب (التى سميت فيما بعد بالمدينة المنورة) هى الحدث الأكبر والمهم في التاريخ الإسلامي إذ غيرت حال المسلمين من فرقة ضعيفة، مضطهدة من زعماء كفار قريش الذين كانوا يذيقونهم مر العذاب خاصة حين فقد الرسول ﷺ أهم داعمين له بعد وفاة عمه أبي طالب، وزوجه خديجة في عام واحد سمي عام الحزن.

وقد اتُّخِذَت الهجرة النبوية بداية للتقويم الهجري، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، واستمرت هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة، حيث الأمان وممارسة العبادات دون خوف، أو قلق، ونزلت الكثير من الآيات تحث المسلمين على الهجرة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤١) حتى تم فتح مكة.

حكمة الهجرة

والمتأمل في وقت الهجرة ومكانها وكيفيتها يجد أن وراءها حكمة عظيمة، فقد كان في وسع الله جل وعلا وهو على كل شيء قدير، أن يؤلف حول الرسول القلوب الكافرة، أو يصيبهم غشاوة، تمنعهم عن إيذاء النبي ومن آمن معه، أو أن ينقل النبي ﷺ في الهجرة النبوية كما نقله في ليلة الإسراء والمعراج، ولكن لله حكمة في ذلك، وهي أن يُشعر المسلمين بحلاوة الإيمان بعد حصول العناء في السفر، كذلك كانت الهجرة فرصة لدخول أعداد كبيرة فى الإسلام، وكذلك لملمة شمل المسلمين واجتماعهم فى مكان آمن وعلى هدف واحد وهو إعلاء كلمة الله، وأن يكون أتباع الرسول ﷺ من الرواد الأوائل، ويصبح منهم المصلحون والدعاة والعلماء الذين ساروا على نهج الرسول.

كان لا بد من انتقال المسلمين إلى بيئة يشعرون فيها بالأمن والأمان لتكون نواة لدولة عظيمة حققت كثيرًا من الإنجازات الحضارية، فالإسلام لم ينزل على رسول الله ﷺ لكي ينذر قريشًا وحدها، لكنه أنزل ليكون رسالة لكل الأمم ليرشدهم ألا يعبدوا إلا الله وحده ولا يشركوا به شيئًا،

لذا كان لا بد للإسلام أن يجد منطلقًا لبناء جسور تمتد من خلالها إلى العالم كله، لذا كانت المدينة المكان المناسب والملائم لتكون مركزًا مهمًّا وأساسًا لنشر الدعوة، وخاصة أن أهل يثرب قد ناصروا الرسول واستقبلوه بالترحاب وبايعوه، لذلك سماهم الأنصار، ففي يثرب وجد منهم الطاعة والرغبة فى دخول الإسلام، لذلك كانت الهجرة إلى المدينة أمرًا مهمًّا وضروريًّا؛ حتى يستجمع المسلمون قواهم، فلا يستهان بهم، ويصبحوا قادرين على نشر الدين الجديد في جميع أرجاء العالم كله.

الهجرة بمفهومها الواسع

يجد المتأمل في أحداث الهجرة بمفهومها الواسع أنها تختلف دوافعها وأسبابها عن دوافع وأسباب هجرة الرسول، حين هاجر الناس فرارًا بدينهم يطلبون الأمن في غير بلدهم، فإن جملة هذه الأسباب السعي بالسفر والهجرة في طلب الرزق كما تدل عليه آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا، فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا، وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (المزمل: ٢٠)، كما تكون الهجرة

الدكتورة
عزيزة عبد الفتاح الصيفى
أستاذة البلاغة والنقد المساعد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر الشريف

لطلب العلم، أو للبحث عن فرصة عمل ممكنة، أو لتجديد الحياة، بالسياحة والاستكشاف، ومنهم الدعاة الذين سخروا حياتهم للدعوة ونشر الإسلام، وغير ذلك من دواعي الهجرة، وكلها أسباب عالجها القرآن الكريم بطريقة أو بأخرى.

وقد ارتبطت ذكرى الهجرة النبوية العطرة في نفوس المسلمين بالانتصارات التي حققها الرسول بتآخي المهاجرين والأنصار ودخول الناس أفواجًا في الإسلام، فيستقبلها المسلمون كل عام بالاحتفال.

موقف المتطرفين من الهجرة

ورغم أهمية هذا الحدث وارتباط العقول به، نجد جماعات من المتطرفين الذين يكفرون من خالفهم في الرأي والفكر تمر عليهم ذكرى الهجرة مرورًا عابرًا، وكل ما يهمهم هو السعي لاستغلالها لخدمة مصالحهم، وأهدافهم والوصول إلى مآربهم، وتحقيق أغراضهم الدنيئة وفكرهم الظلامي المفسد للمجتمع الإسلامي، ولتتصدّر مفاهيمهم المغلوطة، وإضلالهم للناس، فنجدهم يؤسسون للهجرة عندهم بمفهوم الهدم والتدمير، ومنطق الإفساد يقنعون بعضًا من المسلمين فيسحرون عقولهم المجهلة ونفوسهم الضعيفة، لكى يصرفوهم عن مآربهم ونواياهم الحقيقية.

إن مفهوم الهجرة عند هؤلاء الإرهابيين أنها هجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان حسب اعتقادهم، ونسميهم إرهابيين؛ لأنهم يستخدمون أساليب الترهيب والقتل والتنكيل بكل من يعارضهم أو حتى لا يعارضهم فدماء المسلمين عندهم مباحة، وليتهم يحاربون العدو الحقيقي للمسلمين، ولكن؛ فإن من جندهم ومنحهم السلاح والتدريب والقسوة والغلظة في التعامل مع أبناء جلدتهم من المسلمين، هو ذلك العدو الذي لا تتوقف حيله لهدم الإسلام وإضعاف المسلمين أينما كانوا.

وتواصوا بالحق

نكتب بقلم الرصاص احتراماً لمحاة الرأى الآخر

فقه مالك والمالكية (٢٠)

الدكتور
محمد الإدريسى الحسنى
الجمهورية الليبية

بقية: أعلام الفقه المالكي:

المدرستان المصرية والمغاربية:

تميزت المدرسة المصرية وامتدادها الذي شكلته المدرسة المغاربية الأندلسية، بتفوق أعلامها، الذين أثروا تأثيرًا قويًّا في تطور وانتشار واستقرار المذهب المالكي، وغزارة مؤلفاتهم المستمرة في سلسلة ممتدة لم تتوقف عن الإبداع حتى وقتنا هذا، ومن أعلام هاتين المدرستين نوجز ما يلي:

أعلام المدرسة المصرية:

* عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زيد بن الحارث العتقي. يُكنى: أبا عبد الله ، أصله من الشام من فلسطين من مدينة الرملة، ولد سنة (١٢٨هـ)، من الطبقة الوسطى من المصريين، كان فقيهًا قد غلب عليه الرأي، وكان رجلًا صالحًا مقلًّا صابرًا، وروايته الموطأ عن مالك رواية صحيحة قليلة الخطأ، وكان فيما رواه عن مالك من موطنه ثقة حسن الضبط متقنًا، وهو عالم الديار المصرية ومفتيها، إمام وفقيه صاحب الإمام مالك ﷺ، ورواية المسائل عنه، وعن مالك أنه ذُكر عنده ابن القاسم فقال: عافاه الله مثله كمثل جراب مملوء مسكًا، وقيل: إن مالكًا سئل عنه، وعن ابن وهب، فقال: ابن وهب رجل عالم، وابن القاسم فقيه، وعن أسد ابن الفرات قال: كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين، قال ابن القاسم: خرجت إلى مالك بن أنس اثنتي عشرة خرجة أنفقت في كل خرجة ألف دينار، روى عن مالك بن أنس - وصحبه وتفقه به - والليث ابن سعد، وعبد العزيز بن الماجشون، وروى عنه : أصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد ويحيى بن يحيى الأندلسي وعبد الله بن الحكم وابنه موسى بن عبد الرحمن ومحمد بن عبد الله بن الحكم ويحيى بن عبد الله بن بكير وغيرهم. له سماع من مالك في عشرين كتابًا، وكتاب المسائل في بيوع الآجال، توفي سنة ١٩٢هـ.

* عبد الله بن وهب بن مسلم أبو محمد القرشي الفهري مولاهم المصري الفقيه الإمام الحافظ. ولد بمصر سنة ١٢٤هـ، من الطبقة الوسطى من مصر، قال ابن وهب: لقيت ثلاثمائة عالم وستين عالمًا ولولا مالك لضللت في العلم، وقال أيضًا: لولا أن الله أنقذني بمالك والليث لضللت، فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: أكثرت من الحديث فحيرني فكنت أعرض ذلك على مالك والليث فيقولان لي: خذ هذا ودع هذا، قال ابن عبد البر: يقولون إن مالكًا لم يكتب لأحد بالفقيه إلا على ابن وهب، وقال مالك: ابن وهب إمام، وقال أحمد بن حنبل: ابن وهب عالم صالح فقيه كثير العلم، وقال محمد بن الحكم: هو أثبت الناس في مالك، وقال أصبغ: ابن وهب أعلم أصحاب مالك بالسنن والآثار، وقال هارون بن عبد الله الزهري: كان أصحاب مالك بالمدينة يختلفون في قول مالك بعد موته فينظرون قدوم ابن وهب فيصدرون عن رأيه، تفقه على مالك ولازمه

وتفقه بالثوري والليث بن سعد وعبد الملك بن الماجشون وابن أبي حازم وابن دينار وغيرهم، وتفقه عليه: أصبغ بن الفرج، وسحنون بن سعيد، ومحمد بن عبد الله بن الحكم وغيرهم، من مؤلفات ابن وهب: كتاب الموطأ الكبير، وكتاب: الجامع الكبير وكتاب: تفسير الموطأ، وغيرها، توفي ابن وهب بمصر لأربع بقين من شعبان سنة ١٩٧هـ.

* أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم أبو عمرو القيسي العامري الجعدي اسمه مسكين وأشهب لقب، ولد سنة ١٤٠هـ، وهو من الطبقة الوسطى من المصريين، قال الشافعي: ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه، وكانت المنافسة بين أشهب وبين ابن القاسم وانتهت الرئاسة لأشهب بمصر بعد وفاة ابن القاسم، وإذا قيل (القرينان) عند المالكية فالمراد بهما أشهب وابن نافع، روى عن مالك بن أنس وتفقه به والليث بن سعد وسليمان ابن بلال وغيرهم وروى عنه الحارث بن مسكين وسحنون بن سعيد ومحمد ابن عبد الله بن الحكم وغيرهم، صنف كتابًا في الفقه وهو المدونة، وكتاب الاختلاف في القسامة، وكتاب في فضائل عمر بن عبد العزيز، توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ.

* أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع أبو عبد الله مولى عبد العزيز بن مروان وهو كاتب ابن وهب ووراقه، ولد بعد الخمسين ومائة، وهو من الطبقة الأولى من المصريين، قال القاضي عياض: كان قد رحل إلى المدينة ليسمع من مالك فدخلها يوم مات وصحب ابن القاسم وأشهب وابن وهب وسمع منهم وتفقه معهم، قال ابن حبيب: كان أصبغ من أفقه أهل مصر، وقال ابن معين: كان أصبغ من أعلم خلق الله كلهم برأي مالك يعرفها مسألة مسألة متى قالها مالك ومن خالفه فيها، تفقه على ابن وهب وابن القاسم وأشهب وغيرهم. وتفقه عليه ابن الموّاز وابن حبيب وغيرهما، من مؤلفاته، كتاب: الأصول، وكتاب: تفسير غريب الموطأ، وكتاب: آداب القضاة، وكتاب: الرد على أهل الأهواء، توفي أصبغ بمصر لخمس بقين من شوال سنة ٢٢٥هـ.

* عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن الليث أبو محمد القرشي الأموي مولاهم المصري الفقيه. ولد بمصر سنة ١٥٥هـ، وهو من الطبقة الصغرى من المصريين، قال أبو إسحاق الشيرازي: كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله وأفضت إليه الرئاسة بعد أشهب، تفقه على مالك بن أنس والليث وابن عيينة وغيرهم، وتفقه عليه بنوه (محمد وعبد الرحمن وسعد وعبد الحكم)، وابن نمير وابن الموّاز وغيرهم، له من المؤلفات: المختصر الكبير والمختصر الأوسط والمختصر الصغير وهذه المختصرات اختصر فيها أسمعته، توفي بمصر لإحدى وعشرين ليلة خلت من رمضان سنة ٢١٤هـ.

* عبد الرحمن بن أبي جعفر الدمياطي، من الطبقة الصغرى من أصحاب مالك من مصر، سمع من مالك وابن وهب وابن القاسم وأشهب ومطرف وعبد الملك وابن نافع وغيرهم، وروى عنه يحيى بن عمر والوليد بن معاوية وعبيد بن عبد الرحمن وغيرهم، له سماع عن أكابر أصحاب مالك كابن القاسم وابن وهب وأشهب وله الكتب معروفة باسمه تسمى الدمياطية، توفي سنة ٢٢٦هـ.

* الحارث بن مسكين ابن محمد بن يوسف أبو عمرو مولى محمد بن زبان بن عبد العزيز بن مروان المصري القاضي الفقيه الزاهد، ولد سنة ١٥٤هـ، من الطبقة الأولى من مصر، قال الكندي: كان مفتيًا فقيهًا، وقال الخطيب البغدادي: كان فقيهًا على مذهب مالك ثقة في الحديث ثبتًا، رأى مالك بن أنس وسمع من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وغيرهم، روى عنه أبو داود والنسائي وابن وضاح وغيرهم، له من المؤلفات: سماع ابن القاسم وابن وهب، وما اتفق فيه رأي ابن القاسم وأشهب وابن وهب، توفي الحارث سنة ٢٥٠هـ وله خمس وتسعون سنة.

*** تميزت المدرسة المصرية وامتدادها الذي شكلته المدرسة المغاربية الأندلسية، بتفوق أعلامها، الذين أثروا تأثيرًا قويًّا في تطور وانتشار واستقرار المذهب المالكي، وغزارة مؤلفاتهم المستمرة في سلسلة ممتدة لم تتوقف عن الإبداع حتى وقتنا هذا.**

*** قال ابن عبد البر: يقولون إن مالكًا لم يكتب لأحد بالفقيه إلا على بن وهب، وقال مالك: ابن وهب إمام، وقال أحمد بن حنبل: ابن وهب عالم صالح فقيه كثير العلم، وقال محمد ابن الحكم: هو أثبت الناس في مالك، وقال أصبغ: ابن وهب أعلم أصحاب مالك بالسنن والآثار، وقال هارون بن عبد الله الزهري: كان أصحاب مالك بالمدينة يختلفون في قول مالك بعد موته فينظرون قدوم ابن وهب فيصدرون عن رأيه.**

*** عبد الله بن عبد الحكم بن أعين ابن الليث أبو محمد القرشي الأموي مولاهم المصري الفقيه. ولد بمصر سنة ١٥٥هـ، وهو من الطبقة الصغرى من المصريين، قال أبو إسحاق الشيرازي: كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله وأفضت إليه الرئاسة بعد أشهب.**

بقية: ابتلاءات أهل البيت ومحنهم
بقية: ابتلاء واستشهاد آل البيت في عهد الدولة الأموية

بقية: استشهاد الإمام الحسين وآل بيته الأطهار رضي الله عنهم ذكرى عطرة:

ما رثى به الحسين رضي الله عنه:

أولًا: لما أقبل الركب على الكوفة، تتقدمه السبايا والرؤوس المقطعة، في نحو أربعين جملًا، كان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه، على بعير بغير غطاء، وفى حالة يرثى لها من الضعف والمرض، ومن الحزن على ما أصاب أهل البيت النبوى الكريم وعلى رأسهم والده الحبيب، فكان يقول فى أسى وألم بالغين:

يا أمة السوء لا سقيا لربعكم
يا أمة لم تراعى أحمدًا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا
يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرونا على الأقتاب عارية
كأننا لم نشيد فيكم دينا
بنى أمية ما هذا الوقوف على
هذى المصائب لم تصغوا لداعينا
تصفقون علينا كفكم فرحًا
وأنتم فى فجاج الأرض تسبونا
أليس جدى رسول الله ويلكم
هادي البرية من سبل المضلينا
يا وقعة الطف قد أورثتنى حزنًا
والله يهتك أستار المسيئينا

ثانيًا: تجلى حزن العقيلة الطاهرة السيدة زينب رضي الله عنها، لما دخلت المدينة المنورة، وذلك عندما أخذت بعضادتى باب مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعيناها تسيل بالدموع باكية منتحبة وتنادى: يا جداه إنى ناعية إليك أخى الحسين.

وما أن استقر المقام بها بالمدينة المنورة، حتى أخذت تنتبر المنابر، تخطب الجماعات مظهرة عدوان يزيد بن معاوية وبغى عبيد الله بن زياد وطغيان أعوانهما على أهل البيت النبوى الكريم. فأثارت الثائرة، وهيجت الخواطر والمشاعر، وألبت الجماهير على حزب الشر، وذلك من قوة بيانها وجزيل بلاغتها، مما جعل عمرو بن سعيد والي المدينة من قبل يزيد، يستنجد به خوفًا على ولايته من غضبة الناس، إذا ظلت السيدة العقيلة زينب تخطب الناس وتثير حماستهم.

ثالثًا: خرجت فاطمة ابنة عقيل ابن أبى طالب ومعها نساؤها حاسرة تلوي ثوبها فى المدينة المنورة وهى تقول:

ماذا تقولون إن قال النبى لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى
منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم
أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

رابعًا: من مراثى الإمام الحسين هذه

المستشار
رجب عبد السميع

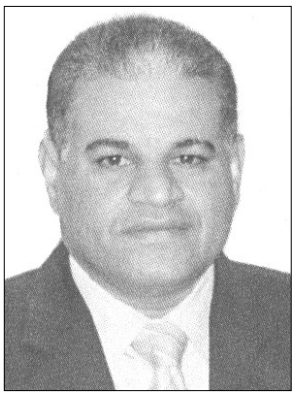

المفكر الصوفي
عادل سعد

الرؤيا التى رآها ابن عباس فى المنام التى يخبر فيها النبى ﷺ بمقتل الحسين ﷺ، فعن ابن عباس: رأيت رسول الله ﷺ فى النوم نصف النهار أشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم قلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل منذ اليوم ألتقطه فأحصى ذلك اليوم فوجدوه قتل يومئذ [والحديث لعمار بن أبى عمار راوي هذا الحديث](١).

وكذلك ما روى رزين حدثتني سلمى قالت: دخلت على السيدة أم سلمة أم المؤمنين وهى تبكى قلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفًا، ونقل عنها أنه حين أتاها قتل الحسين قالت: قد فعلوها ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا ووقعت مغشية عليها فقمنا وماتت بعد منه بعدة أيام حزنًا وكمدًا على مقتل الإمام الحسين ﷺ، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين ومدفونة بالبقيع بالمدينة المنورة.

خامسًا: ما رثا به عبد الله بن عفيف الأزدي في الكوفة وهو يدافع عن الشهيد الحسين بن علي ﷺ: وقد نادى اللعين ابن زياد بالصلاة الجامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر فخطبهم وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأيد حزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على وشيعته. وقبل أن يستأنف كلامه، وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، وكان ضريرًا قد ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل مع الإمام علي بن أبى طالب كرم الله وجهه، وذهبت الأخرى بصفين معه أيضًا، وكان لا يفارق المسجد يصلى فيه إلى الليل ثم ينصرف. فلما سمع مقالة اللعين ابن زياد، قال: يا ابن مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب

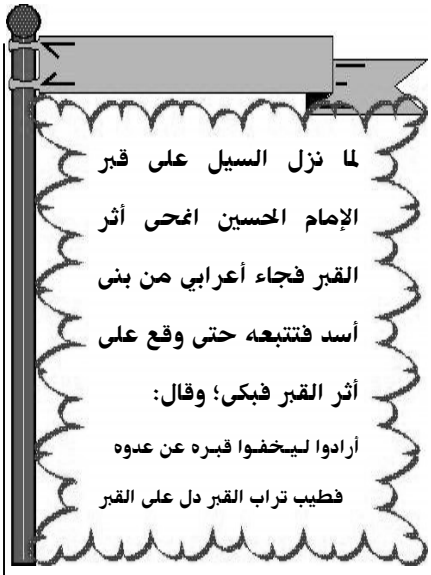

أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، يا ابن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟ فقال ابن زياد: عليَّ به. فأخذوه، فنادى عبد الله بشعار الأزد "يا مبرور"، فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه من أيدى الجلاوزة، وأتوا به أهله ومنزله. فقال: الحمد لله رب العالمين، أما إني كنت أسأل الله ربى أن يرزقني الشهادة، وسألته أن يجعلها على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه، فلما كف بصري يئست من الشهادة، والآن، فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها.

فأمر ابن زياد، فضرب عنقه وصلب فى السبخة.

سادسًا: ومن أجمل ما رثى به الحسين رثاء سليمان بن قنة:

وإن قتيل الطف من آل هاشم
أذل رقابًا(٢) من قريش فذلت
فإن يتبعوه عائذ البيت يصبحوا
كعاد تعمت عن هداها فضلت
مررت على أبيات آل محمد
فألفيتها أمثالها حين حلت
وكانوا لنا غنمًا فعادوا رزية
لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها
وإن أصبحت منهم برغمى تخلت
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة
لفقد حسين والبلاد اقشعرت

سابعًا: لما نزل السيل على قبر الإمام الحسين انمحى أثر القبر فجاء أعرابي من بنى أسد فتتبعه حتى وقع على أثر القبر فبكى؛ وقال:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دل على القبر

ثامنًا: الإمام الحسن عند وفاته يرثى أخاه الإمام الحسين: دخل عليه الإمام الحسين ﷺ فلما رأى ما يعانيه من ألم اغرورقت عيناه بالدموع فنظر إليه الإمام الحسن ﷺ وقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله، فرد ﷺ، لما أراك فيه، واستشف الإمام الحسن ﷺ بما سيجرى على أخيه من بعده فهان عليه ما هو فيه وسالت من عينيه الكريمتين الدموع وقال بنبرات مرتعشة حزينة: إن الذى أتى إلى سم أقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفًا يدعون أنهم من أمة جدنا محمد ﷺ وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبى ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك.

---

(١) ما جاء في بيان مقتل الحسين بن على: قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس، قال: رأيت رسول الله ﷺ نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ويتتبعه فيها. قلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم، قال عمار حفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم، وهذا سند صحيح لا مطعن فيه، التذكرة للقرطبي، ص ٦٠٢.

(٢) أذل رقابًا: أي لا يرعوون عن قتل قرشي بعده.

النَّص المُتشظِّي المشروع الصهيوني من ريف دمشق إلى قطاع غزة

(١٤)

بقية: إسرائيل عندما ترتدي قناع الاعتدال
إنهم قتلوا الرب

بذلت الحركة الصهيونية محاولات طويلة ومريرة من أجل كسب التعاطف المسيحي الأوروبي، لاسيما وأن كثيرًا من المسيحيين اتهموا اليهود بالهرطقة، بل إن مجمل كنه الصهيونية أو بالأحرى اليهودية في عقيدة مسيحي أوروبا أنهم قتلوا الرب؟ وهو الاتهام الأكثر خطورة والذي ظل ملازمًا للحركة الصهيونية، بل تخبرنا كتب التأريخ المسيحي أنه ليست مصادفة أن يكون بولس هو المحرض الأول والرئيس في التوجه المناهض لليهودية، ويمكننا رصد العلاقة التاريخية القديمة بين المسيحية واليهودية من خلال بداية الشتات اليهودي تحديدًا في العام السابع بعد الميلاد حيث أصبحتا المسيحية واليهودية تسيران في طريق مختلف وأصبح الاتجاه المسيحي المعادي للسامية أكثر شراسة، وهذا ما دفع فيما بعد الواعظ جيوفاني كريسوستمو Giovani Cristomo أن يقول: إن اليهود يشكلون جماعات منحرفة ومجموعة غوغاء من النساء الساقطات، وفي مواعظه بعنوان: Tudaes Adversus يشير إلى أن المسيحيين يفضلون الموت بدلًا من أن يتوجهوا لطبيب يهودي، ويجب عليهم الابتعاد عن اليهود مثلما يفرون من الطاعون والكوارث التي تعصف بالبشر.

ويرى هذا الرجل الكنسي أن اليهود لا يجب أن يكونوا أبدًا شعبًا له أرض، أما أوجستينو كما يذكر كارل ديخنر في كتابه (التاريخ الإجرامي للمسيحية، ٢٠٠٠) فيرى أنه لم يكن من الصواب إهلاك اليهود؛ لأنهم كانوا سيشكلون الدليل الحي لصدق المسيحية بسبب المصير الأبدي الذي يلاقونه وهو أنهم يهيمون في الأرض بلا وطن.

هذا ما جعل القساوسة يجتمعون في Alvira للوصول إلى عدة قرارات مهمة؛ منها: منع اليهود من تقلد المناصب العامة والأكاديمية، والاحتفاظ بخدم مسيحيين والزواج بمسيحيين، وعمل أي دعاية دينية أو إنشاء أي معابد يهودية، والإقامة خارج الأحياء المخصصة لهم، مرورًا بإجراءات بسيطة لكنها مهينة مثل حمل شارات على ملابسهم لتمييزهم عن الآخرين، وكذلك منعهم من التواجد في الشوارع في أثناء أسبوع الآلام المقدس لدى المسيحيين.

والحقائق التاريخية تؤكد تآمر اليهود على السيد المسيح عليه السلام ومحاربتهم له وضد أتباعه أيضًا، ولقد لقي المسيحيون الأوائل من جراء دسائس اليهود ومؤامراتهم أهوالًا من الإرهاب والتعذيب والإبادة.

ويذكر عبد الله التل في كتابه (خطر الصهيونية) أن في ولاية نيويورك الأمريكية عددًا كبيرًا من دور النشر المعروفة بميولها الصهيونية تهتم بطبع الكتب التي تتعرض لشخصية السيد

المسيح عليه السلام تعرضًا هو في منتهى الشناعة وسوء الأدب، ومن ذلك كتاب نشرته دار (سيمون وشوستر) بعنوان: (التجربة الأخيرة للمسيح).

وبالرغم من العداء التاريخي والديني أيضًا بين المسيحية واليهودية؛ إلا أن هناك عوامل مكنت لإسرائيل من أرض فلسطين العربية، وهذا تم بمباركة مسيحية غربية، وهذا هو المشهد الأدهش في تاريخ الصراع بينهما من ناحية وبين الصراع العربي الإسرائيلي من ناحية أخرى.

ويشير فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق في بحثه المعنون (المسلمون واسترداد بيت المقدس) إلى أسباب وأسرار التحالف بين المشروع الصهيوني الاستعماري ودول الغرب المسيحية، ويتمثل هذا التحالف في السؤال الذي وجهه (كامبل برمان) عن ما مصير الحضارة الغربية إلى لجنة ألفها من بين مشاهير المؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والبترول والإذاعة؛ للإجابة عن السؤال المذكور.

ويقول كامبل برمان في سؤاله: " إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى، ثم تستقر إلى حد ما، ثم تنحل ثم تزول، فهل لديكم أسباب ووسائل يمكن أن تحول دون السقوط أو الانهيار، أو تؤخر مصير الاستعمار الأوروبي، وقد بلغ الآن الذروة وأصبحت أوروبا قارة قديمة نفدت مواردها، وشاخت معالمها، في

الدكتور بليغ حمدى إسماعيل
أستاذ المناهج وطرق تدريس اللغة العربية المساعد
كلية التربية ـ جامعة المنيا

حين نرى العالم الآخر لا يزال في مطلع شبابه؟ ".

ومنذ ذلك التساؤل كما يذكر فضيلة الإمام الأكبر محمد الفحام في دراسته عكفت اللجنة على دراسة الموضوع، وانتهت إلى وضع خطة للمستقبل، ضمنتها تقريرًا أحالته وزارة الخارجية إلى وزارة المستعمرات، وقد جاء في التقرير أن الخطر المهدد يكمن في البحر المتوسط، ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص؛ حيث يوجد شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة والآمال المشتركة وكل مقومات التجميع والترابط والاتحاد، فضلًا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية.

وطالب التقرير آنذاك بأنه على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على تجزئة هذه المنطقة، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر، وطالب التقرير بضرورة فصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي.

فضلًا عن مطالبة التقرير بإقامة حاجز بشري قوي غريب على الجسر البري الذي يربط آسيا وإفريقيا وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار.

واستطاعت الحركة الصهيونية أن تتسلل إلى الدول الغربية المسيحية من خلال قيام السير إيريك درموند بتوجيه رسالة إلى حاييم وايزمان أكد له فيها أن حماية حقوق اليهود ستكون من أهم واجبات عصبة الأمم (منظمة الأمم المتحدة بعد ذلك) وسخرت بالفعل كل إمكانات المنظمة من خلال فرض الانتداب البريطاني على فلسطين من أجل تحقيق هدف أساسي هو تنفيذ وعد بلفور.

الأخطر من ذلك كله هو ما أعلنه الزعيم الصهيوني (ناحوم وسكولوف) في المؤتمر اليهودي الذي عقد في كارلسباد في السابع والعشرين من أغسطس عام ١٩٢٢م ونشرته جريدة نيويورك تايمز: " إن عصبة الأمم فكرة يهودية، لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة".

هذا يجعلنا نتيقن تمام اليقين في أن سر التحالف بين الصهيونية والدول الغربية المسيحية رغم الخلاف والصراع التاريخي هو تحالف لا يسنده شيء من التعاطف بل يقوم في الأساس على مطامع الحركة الصهيونية العالمية والتعصب العنصري الديني الذي تقوده الدول الغربية ضد الشعوب الإسلامية.

وأنا على يقين أن في الأمة رجالاً بررة في كل قرية، يمكنهم أن يقوموا بتربية البنات في المكاتب؛ حتى تبلغ البنت مبلغًا تقوم فيه بالواجب عليها ويتضح أن للمرأة طبيعة خاصة تختلف عن طبائع الرجال!!

وصية إلى المرأة المسلمة (٤)

د. جمال أمين

الأخلاق التي تتعلمها المرأة

تتعلم النفور من كل أجنبي لا يعنيها التكلم معه، والوحشة من كل رجل يتعرض لها إلا لحاجة شرعية، والحدة على كل امرأة تذكر أمامها غير زوجها، أو تذكر لها أجنبيًّا، والعفاف بتعصب أعمى، والغيرة على كل عضو من أعضائها أن يراه غير زوجها أو محرمها، حتى أطراف أصابعها، حتى تكون امرأة مصونة عفيفة، وهكذا النساء الفاضلات كن يسترن أطراف أصابعهن.

ابنتي ...

كيف تكون تربية البنات ... ومن هو معلم البنات في أدوار حياتهن؟

تربية البنات

وعندي أن الداعي إلى تربية البنات، إلى الطريقة التي تكون المرأة والرجل فيها سواء في الأندية والمجتمعات، ليس من بني الإنسان، بل ولا من أنواع الحيوانات التي تشعر بنوع من الكرامة كالطيور والسباع، فإنه إنما يدعو إلى محو كل الفضائل والكمالات، التي يجب أن تكون عليها المرأة لتكون دعامة للأمة الإسلامية.

وعندي أن الذين قاموا للرد على هؤلاء مخطئون، والأولى أن يقوم العلماء ببيان ما يجب أن تتعلمه المرأة، ويبينوا قيمتها في المجتمع الإسلامي، وما يجب عليها في منزل والديها، وفي منزلها الجديد مع زوجها ووالديه وأقاربه وأولادها؛ حتى تكون خيرًا لزوجها، وعونًا لوالديه وأهله، تعينه على بر والديه وصلة رحمه، وتكون لهم كخادمة، كما أمر الله تعالى، ليمن الله تعالى عليها عند كبرها، بزوجة ولد تقوم لها بما قامت به لوالدة زوجها وأقاربه، فيحصل البر للوالدين، والصلة للأرحام، والتعاون على الخيرات، وفراغ القلب لما يزيد خير الأمة، كل ذلك بسبب تربية البنات.

والإهمال في تربيتهن، يجعل الوالد عندما يزوج ابنه كأنه فصله عنه إلى زوجته وأهلها، فيعق الولد والديه، ويقطع أرحامه، ويكون كأنه لم يكن بينه وبين والديه وأقاربه صلة، فتتفكك أعضاء الأمة، ويقف الولد مع والده موقف العدو للعدو، ويخاصم أمه ويبغض إخوته، كل ذلك من عدم تربية البنات، وكل ما أوجبه الشرع على الرجل أوجبه على المرأة.

معلم البنات في أدوار حياتهن

في المكتب من خمس إلى سبع مع إخوتها وأخواتها الصغار: تتعلم القرآن والإيمان (قواعد الإسلام) والكتابة والقراءة، وفي السنة الثامنة: تتعلم ما لا بد منه من مبادئ الحساب والنحو والأخلاق وما تقدم من تعليم العلم في مدرسة أو في مكتب،

يلزم أن يكون رئيسه مسلمًا تقيًّا ورعًا معتقدًا فيه، مشهورًا بالصلاح، ومعه أساتذة لا يقلون عنه، وكلما كان معلم البنات قد تجاوز الخمسين سنة كان أكمل، ويلزم أن يتعلمن بمكتب أو مدرسة أقرب إلى منزلهن، وأن يكون بالمكتب والمدرسة محل خاص بالصلاة في وقتها، وعقب الصلاة يعطي لهن درس عام بحسب المناسبات، والأولى أن يكون خاصًّا بالعفاف والشرف، وغض البصر.

ولا ينبغي أن يكون في المكتب أو المدرسة معلم في سن العشرين من عمره ولا غير مسلم، إلا إذا لم يجد المسلمون من يقوم بتعليم فن من الفنون، كالتطريز والنسج، فينتدبون امرأة ليست مسلمة لتعليم هذا الفن، مع ملاحظتها من رئيس المكتب أو مندوبه، خشية أن تبث فيهن نفسًا خبيثة، أو خلقًا قبيحًا يخالف الفضائل الإسلامية والعوائد القومية، ويلزم أن لا يتعلم مع البنات المسلمات بنات غير مسلمات، خشية من أن تكون بنت غير مسلمة كبيرة في السن، تأتلف مع بنت مسلمة صغيرة في السن فتفسد عليها عاداتها الإسلامية، فإن غير المسلمات قد يذكرن النبيذ والخمر، وربما دعتها إلى زيارتها في بيتها، والطفل والطفلة ينبغي المحافظة عليهما، في هذا السن أكثر.

فإذا أتمت السنة الثانية عشرة من عمرها: وحصلت ما لا بد منه من العلوم والفنون، يجب أن يكون الأستاذ والدها، ويلزم أن تتلقى الفنون علميًّا وعمليًّا في المنزل، ولو اعترض معترض بأن أكثر الأمهات لسن متربيات، فالجواب أن كل رجل قد تربى فامرأته متربية تربية تناسبه، فما من رجل إلا وامرأته تقوم له بما يلزمه من المأكل والمشرب وتنظيف حجرتها، وتدبر له بيته كما يجب، فإن احتاجت إلى مزيد علم فعليه أن يتولى تعليمها بنفسه؛ حتى يتمم نقصها، وبذلك تكون أستاذة لبناتها.

وإني أستحث همم الرجال من المسلمين، أن يقدم كل عالم في فن من الفنون كتابًا يدرس للبنات، وبمشيئة الله تعالى سأكتب كتابًا أجمع فيه ما بينته من العلوم الإسلامية الواجب على البنت أن تتعلمها ليكون نافعًا إن شاء الله، وعلى علماء التاريخ والحساب وغيره، أن يخدموا الأمة بتقديم ما يلزم من الكتب، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، وأنا على يقين أن في الأمة رجالًا أتقياء بررة في كل قرية، يمكنهم أن يقوموا بتربية البنات في المكاتب الصغيرة؛ حتى تبلغ البنت مبلغًا تقوم فيه بالواجب عليها ومما تقدم يتضح أن للمرأة طبيعة خاصة تختلف كليًّا وجذريًّا عن طبائع الرجال، وينتج عن نتائج تقتضي أحوالًا ووظائف خاصة بها؛ وبيان ذلك:

إن المرأة خلقت لأعمال خاصة بها لا يمكن للرجل أن يقوم بها تشغلها عن كل عمل خاص بالرجال، ولذلك فالذي أبدعها سبحانه خلق عظامها أدق من عظام الرجل، وجسمها أضعف من جسم الرجال.

١- إن المرأة خلقت لأعمال خاصة بها لا يمكن للرجل أن يقوم بها تشغلها عن كل عمل خاص بالرجال، ولذلك فالذي أبدعها سبحانه خلق عظامها أدق من عظام الرجل، وجسمها أضعف من جسم الرجال.

٢- بدهي أن النفس المدبرة للجسم، وقوة العقل – التي هي كالوزير للنفس وبها كمال الإدراك، تكونان كاملتين في الجسم الصحيح القوي، وتنتقصان إذا اعتورت الجسم أسقام أو اختل توازن أمزجته، كما هو مشاهد محسوس من فساد أخلاق المرضى، وفقد عقل المموروين، وضعف الإدراك من ضعف الأبدان، وقلة التمييز عند من لم تتناسب أعضاؤهم، هذا أمر بدهي محسوس.

٣- إن المرأة كما قدمنا تعتورها الأمراض في كل شهر مرتين بالحيض، والأسقام بالحمل والرضاع في كل سنة، مع ما هي عليه من الضعف الفطري الذي يوجب نقصان عقلها، ومبدعها الحكيم خلقها كالأرض للبذر، فمن تعدى حدود الله وسننه فيها، فقد ظلمها وظلم نفسه، وأراد ما لا يكون.

حديث نبوي

قيل: يا رسولَ اللهِ، أيُّ النساءِ خيرٌ؟ قال: (التي تسرُّهُ إذا نَظَرَ، وتُطيعُهُ إذا أمرَ، ولا تُخالفُه في نفسِها ولا في مالِهِ بما يكرهُ).

- رواه أحمد والنسائي -

هل تفعلها القاهرة؟:

مصر تقود جهود إصلاح مجلس الأمن الدولي

دعت مصر إلى إصلاح وتوسيع مجلس الأمن الدولي بما يضمن تمثيلًا دائمًا وعادلًا للقارة الإفريقية، مؤكدة أن غياب هذا التمثيل يمثل ظلمًا تاريخيًّا يجب تصحيحه ضمن إعادة هيكلة منظومة الحوكمة الدولية.

جاء ذلك خلال مشاركة وزير الخارجية المصري، بدر عبد العاطي، في الاجتماع الوزاري حول إصلاح مجلس الأمن، المنعقد في نيروبي بمشاركة عدد من وزراء خارجية الدول الإفريقية، على هامش القمة الفرنسية الإفريقية، وبحضور وزير خارجية فرنسا ورئيس مفوضية الاتحاد الإفريقي، بحسب بيان للخارجية المصرية.

وأكد عبد العاطي، في كلمة مصر، تمسك القاهرة الكامل بمواقف القارة الإفريقية الموحدة، وفي مقدمتها توافق «أزولويني» وإعلان سرت، مشددًا على أن إصلاح مجلس الأمن يجب أن يعكس التوازنات الدولية الراهنة بصورة أكثر عدالة وإنصافًا.

كما شدد الوزير على أن «عملية الإصلاح يجب أن تفضي إلى حصول إفريقيا على تمثيل دائم وعادل داخل مجلس الأمن، بما يشمل جميع الحقوق والامتيازات الممنوحة للأعضاء الدائمين، بما في ذلك حق النقض «الفيتو»».

وأشاد عبد العاطي بدور لجنة العشرة الإفريقية «C١٠» في تنسيق الموقف الإفريقي، مثمنًا جهود سيراليون بصفتها رئيسًا للجنة في دعم وحدة الموقف الإفريقي خلال المفاوضات الجارية حول إصلاح المجلس.

كما أكد تمسك مصر الكامل بتوافق «أزولويني» و«إعلان سرت»، مؤكدًا ضرورة رفع الظلم التاريخي الواقع على القارة الإفريقية جراء استمرار حرمانها من التمثيل الدائم داخل مجلس الأمن.

يشار إلى أن ملف إصلاح مجلس الأمن الدولي أحد أكثر الملفات تعقيدًا داخل منظومة الأمم المتحدة، نظرًا لتشابك المصالح الدولية واختلاف رؤى الدول الأعضاء حول طبيعة التغيير المطلوب وهيكلية المجلس، خاصة فيما يتعلق بفئة العضوية الدائمة وحق النقض «الفيتو».

وتطالب الدول الإفريقية منذ عقود بإصلاح شامل يضمن تمثيلًا دائمًا للقارة داخل المجلس، باعتبار أن إفريقيا تمثل كتلة جغرافية وديموغرافية وسياسية واسعة، في حين لا تحظى بأي مقعد دائم، رغم أن معظم قرارات المجلس المتعلقة بالسلام والأمن الدوليين تشمل قضايا إفريقية بشكل مباشر.

وتتمحور المواقف الإفريقية الرسمية حول «توافق أزولويني» و«إعلان سرت»، وهما مرجعيتان أساسيتان للموقف الموحد للدول الإفريقية، وتدفعان باتجاه منح القارة ما لا يقل عن مقعدين دائمين في مجلس الأمن مع كامل الحقوق، بما في ذلك حق النقض، إلى جانب توسيع العضوية غير الدائمة.

ورغم تعدد جولات المفاوضات داخل الأمم المتحدة، لا يزال التقدم في هذا الملف محدودًا بسبب الخلافات بين الكتل الدولية الرئيسية حول شكل التوسعة، ورفض بعض القوى الكبرى المساس بامتيازات العضوية الدائمة الحالية.

وفي هذا السياق، تلعب لجنة العشرة الإفريقية «C١٠» دورًا تنسيقيًّا محوريًّا في توحيد الموقف الإفريقي داخل مسار المفاوضات، عبر تقديم مقترحات مشتركة وتعزيز الضغط الدبلوماسي لصالح تمثيل إفريقي أكثر عدلًا داخل مجلس الأمن، في ظل تزايد الدعوات الدولية لإعادة هيكلة النظام متعدد الأطراف بما يعكس التحولات الجيوسياسية الراهنة.

ويشمل إصلاح مجلس أمن الأمم المتحدة خمس قضايا أساسية: فئات العضوية، ومسألة احتكار الأعضاء الخمسة الدائمين لحق النقض، والتمثيل الإقليمي، وحجم المجلس الموسع وأساليب عمله، والعلاقة بين مجلس الأمن والجمعية العامة. وقد طورت الدول الأعضاء والتجمعات الإقليمية وغيرها من مجموعات المصالح مواقف ومقترحات مختلفة حول كيفية المضي قدمًا في هذه المسألة المتنازع عليها.

ويتطلب أي إصلاح لمجلس الأمن موافقة ثلثي الدول الأعضاء على الأقل في تصويت الجمعية العامة، ويجب أن يصدَّق عليه من قبل ثلثي الدول الأعضاء، وأن يوافق عليه جميع الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (الذين يتمتعون بحق النقض).

بجاحة العدو.. قاعدة عسكرية إسرائيلية في العراق!!

أفادت صحيفة وول ستريت جورنال نقلًا عن مسؤولين أميركيين، بأن إسرائيل أنشأت موقعًا عسكريًّا سريًّا داخل الصحراء العراقية لدعم حملتها الجوية ضد إيران، كما نفذت غارات جوية استهدفت قوات عراقية كانت على وشك اكتشاف الموقع في وقت مبكر من الحرب.

وبحسب المصادر، جرى بناء القاعدة قبل اندلاع الحرب مباشرة وبعلم الولايات المتحدة، حيث استُخدمت لإيواء قوات خاصة، وشكلت مركزًا لوجستيًّا لدعم عمليات سلاح الجو الإسرائيلي.

وأضاف التقرير أن فرق بحث وإنقاذ إسرائيلية نُشرت داخل القاعدة تحسبًا لاحتمال إسقاط طيارين إسرائيليين خلال العمليات، إلا أن ذلك لم يحدث.

وكشف أحد المسؤولين أن إسرائيل عرضت المساعدة عندما سقطت طائرة أميركية من طراز "إف-١٥" قرب أصفهان، لكن القوات الأميركية تولت بنفسها عملية إنقاذ الطيارين.

وأشار التقرير إلى أن الموقع كاد يُكتشف مطلع مارس، بعدما أبلغ راعٍ عراقي عن تحركات ونشاط عسكري غير معتاد في المنطقة، ما دفع الجيش العراقي إلى إرسال قوات للتحقيق، قبل أن تتعرض تلك القوات لضربات جوية حالت دون اقترابها من الموقع.

كما أرسلت السلطات العراقية وحدتين إضافيتين من جهاز مكافحة الإرهاب، الذي لعب دورًا بارزًا في الحرب ضد تنظيم داعش، للمشاركة في عملية تفتيش المنطقة، حيث عثرت القوات على مؤشرات تدل على وجود قوات عسكرية في الموقع.

وقال نائب قائد قيادة العمليات المشتركة العراقية، الفريق قيس المحمداوي، لوسائل الإعلام الرسمية: "يبدو أن قوة ما كانت على الأرض قبل الضربة، ومدعومة جوًّا، وتعمل بقدرات تتجاوز إمكانيات وحداتنا".

من جهته، رفض متحدث باسم الحكومة العراقية الإدلاء بمزيد من التعليقات بشأن الحادث، أو توضيح ما إذا كانت بغداد على علم بوجود القاعدة الإسرائيلية داخل الأراضي العراقية.

أثار كشف صحيفة وول ستريت جورنال عن قاعدة إسرائيلية سرية في الصحراء العراقية حرجًا بالغًا داخل الأوساط السياسية والأمنية في العراق.

وعقب عدة إحاطات قدّمها مسؤولون أمنيون عراقيون، أصدرت القوات الأمنية العراقية بيانًا رسميًّا أكدت فيه أن الجيش العراقي تعرّض لهجوم نفذته قوة أجنبية مجهولة في مطلع مارس بمنطقة النجف، وهو الحادث ذاته الذي سبق الإبلاغ عنه، وفقًا لبيان صادر عن خلية الإعلام الأمني العراقية.

وأوضح البيان أنه لم يتم رصد أي وجود إضافي لهذه القوة خلال الشهرين الماضيين، مشيرًا إلى أن الحادث لم يكن موقعًا دائمًا، بل عملية إنزال لقوة أجنبية جرى إحباطها.

غير أن هذه التوضيحات لم تُرضِ البرلمان العراقي، الذي استدعى عدد من كبار مسؤولي الأجهزة الأمنية لمساءلتهم بشأن انتهاك السيادة والوجود العسكري الأجنبي، ثم تفاجئ الجميع بالإعلان عن وجود قاعدة عسكرية ثانية للعدو في أرض العراق.

الكيان الصهيوني يسيطر على ٦٨ موقعًا في جنوب لبنان

أكد رئيس الحكومة اللبناني، نواف سلام، أن "لبنان يركز حاليًا على وقف الأعمال العدائية وإنهاء الحرب"، مشيرًا إلى أن بيروت منفتحة على اتفاق سلام مع إسرائيل بعد تلبية مطالبها.

وقال سلام، في مقابلة صحفية: إن "الجيش الإسرائيلي يسيطر حاليًا على ٦٨ موقعًا في جنوب لبنان"، موضحًا أنه "قبل الحرب الأخيرة لم يكن هناك سوى خمسة مواقع تحتلها إسرائيل".

وأشار إلى أن "المفاوضات الجارية تتضمن مطالبة لبنان بأجندة واضحة للانسحاب الإسرائيلي"، مؤكدًا أن بلاده لم تختر الحرب، بل تم جرّها إلى المواجهة بين إيران والولايات المتحدة.

مفرزة مقاتلات مصرية في الإمارات

استقبل الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الإمارات رئيس جمهورية مصر العربية عبدالفتاح السيسي الذي قام بزيارة أخوية إلى دولة الإمارات في مايو الماضي.

وبحث السيسي وبن زايد خلال اللقاء العلاقات الأخوية ومختلف جوانب التعاون وسبل تعزيزه، خاصة في المجالات التي تخدم الأولويات التنموية المشتركة للبلدين، وبما يعود بالنماء والازدهار على شعبيهما، كما استعرض الجانبان تطورات الأوضاع الإقليمية وتداعياتها على الأمن والاستقرار الإقليمي والدولي، وتبادلا وجهات النظر بشأنها.

وجدد الرئيس عبد الفتاح السيسي تضامن مصر مع الإمارات تجاه كل ما تتخذه من إجراءات لحماية أمنها وسيادتها وضمان سلامة أراضيها ومواطنيها والمقيمين فيها.

وكان بن زايد والسيسي قد قاما بزيارة تفقدية إلى مفرزة المقاتلات المصرية المتمركزة في الإمارات، للاطلاع على الجاهزية والجهود المبذولة لتعزيز القدرات العملياتية والاستعداد لمختلف التحديات.

وتعد هذه هي المرة الأولى التي يُعلن فيها عن وجود "مفرزة مقاتلات مصرية" في الإمارات بشكل رسمي.

تُعد "المفرزة" مجموعة قتالية صغيرة تُكلَّف بمهام عملياتية أو قتالية محددة، وتأتي ضمن مستويات تنظيمية أدنى من الوحدات والتشكيلات التكتيكية والتعبوية، بحسب اللواء محمد الشهاوي، مستشار كلية القادة والأركان المصرية.

وبحسب بي بي سي، أظهرت الصور التي نشرتها وكالة وام ١٣ شخصًا يرتدون بزّات طيران مصرية، وقال متخصصون تحدثت إليهم بي بي سي: إن الخوذ والمعدات الظاهرة في الصور تُستخدم عادة من قبل أطقم مقاتلات "رافال" فرنسية الصنع.

وأشار المتخصصون إلى أن بعض طائرات "رافال" تُشغَّل بطيار واحد، بينما تعمل نسخ أخرى بطيارين، ما دفعهم إلى ترجيح أن عدد الطائرات المشاركة يتراوح بين ثماني وعشر مقاتلات، كما أظهرت الصور والمقاطع المصورة ضابطين من القوات المسلحة المصرية بملابس عسكرية، رجّح متخصصون أنهما ينتميان إلى قوات الدفاع الجوي المصرية.

كانت مصر أول دولة أجنبية تتعاقد على شراء مقاتلات "رافال" الفرنسية، بعدما وقّعت اتفاقًا مع فرنسا عام ٢٠١٥م للحصول على ٢٤ طائرة، ضمن صفقة دفاعية بلغت قيمتها نحو ٥,٢ مليار يورو، ووفي عام ٢٠٢١م، أعلنت القاهرة توقيع اتفاق جديد لشراء ٣٠ مقاتلة إضافية من الطراز نفسه، في صفقة قالت تقارير: إن قيمتها بلغت نحو ٣,٧٥ مليار يورو، ما رفع إجمالي عدد مقاتلات "رافال" المصرية إلى ٥٤ طائرة، تسلمت منها مصر حتى الآن ٣٦ طائرة.

علق المتحدث باسم الخارجية الإيرانية، إسماعيل بقائى، على مفرزة المقاتلات المصرية فى الإمارات، قائلًا: «علاقاتنا مع مصر مبنية على الاحترام المتبادل»، وفقًا لما نقلته وكالة «تسنيم».

وقال «بقائي»: «علاقاتنا مع مصر مبنية على الاحترام المتبادل، والتواصل مستمر بين وزيرى الخارجية بشأن قضايا مُختلفة، ثنائية وإقليمية، وفى الوقت نفسه، فإن ما يتعلق بالأمن والاستقرار الإقليميين شأنٌ يخص دول المنطقة وحدها».

وأضاف متحدث الخارجية الإيرانية، ردًّا على سؤالٍ حول إرسال مصر طائراتٍ مقاتلة إلى الإمارات: «من حيث المبدأ، موقفنا الثابت هو رفض أى تدخل يُقوّض الأمن الإقليمى والثقة الإقليمية، ولا يهمّ من يقوم بهذا العمل، يجب ضمان الأمن الإقليمى من قِبل دول المنطقة، ومن خلال تعزيز الثقة الجماعية فيما بينها».

وتابع: «هذا هو نوع الأمن الذى يُمكن الاعتماد عليه حقًّا، لقد أظهرت التطورات التى حدثت خلال الستين يومًا الماضية أن الأمن الذى يعتمد على وجود قوات أجنبية فى المنطقة لن يؤدى إلا إلى تفاقم انعدام الأمن ولن يفيد منطقتنا بأى شكل من الأشكال».

الحج اختبار للأولين والآخرين

قال أمير المؤمنين الإمام المجدد الأول السيد علىّ ابن أبى طالب عليه السلام: (ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم - صلوات الله عليه - إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قيامًا، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجرًا، وأقل نتائق الدنيا مدرًا، وأضيق بطون الأودية قطرًا، بين جبال خشنة، ورمال دمثة، وعيون وشلة، وقرى منقطعة، لا يزكو بها خف ولاحافر ولاظلف).

علة الحج

قال الإمام المجدد الثاني السيد جعفر الصادق عليه السلام: (إن الله خلق الخلق وأمرهم ونهاهم ما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصلحتهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب ليتعارفوا، وليتربح كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمال، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعرف أخباره ويذكر ولا ينسى. ولو كان كل قوم إنما يتكلون على بلادهم وما فيها هلكوا، وخربت البلاد، وسقط الجلب والأرباح، وعميت الأخبار، ولم يقفوا على ذلك، فذلك علة الحج).

كيف أصبح الحرم حرمًا؟

قال الإمام المجدد الثالث السيد علي الهادي عليه السلام: (إنّ أبي حدّثني، عن جدّي، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أمر جبريل أن ينزل بياقوتة من الجنة، فهبط بها فمسح بها رأس آدم، فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرمًا).

غاية المعرفة بالله

قال الإمام المجدد الخامس السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: (غايةُ المعرفةِ بالله الإيقانُ بوجُودهِ تَعالى بلا كَيفٍ ولا مَكان).

لا يُحج إلا في مال حلال

قال الإمام المجدد السادس السيد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه: (لا يحج أحدكم إلا في مال حلال، فإن الله لا تعالى لا يقبل إلا الطيب فإنه محط الأوزار).

أنواع الحج

قال خاتم الوُرَّاث المحمديين الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضوان الله عليه: (حَجُّ الأَشْبَاحِ: مُشَاهَدَةُ الْبَيْتِ، وَحَجُّ الرُّوحِ ثَلَاثٌ: حَجٌّ إِلَىٰ نَفْسِهَا تَشْهَدُ الْمَعَانِي، وَحَجُّ الْحَضْرَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ الْمَعْمُور).

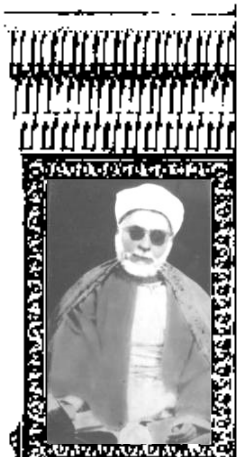

الهجرة: مشاهد جليّة ودرجات عليّة

۞ سماحة مولانا الإمام المجدد حُجَّةَ الإسلام والمسلمين فى هذا الزمان السيد محمد ماضى أبو العزائم - قدَّس الله سرَّكم، ونفعنا الله بكم، وجعلكم وليًّا مرشدًا لطلاب العلم النافع - مع بداية عام هجرى جديد تطل علينا ذكرى عزيزة وهى الهجرة أو ما يسميه القوم السياحة إلى الله، فنرجو من سماحتكم التكرم ببيان أئمة السائحين من الأنبياء والصحابة ومشاهدهم ودرجاتهم، وبعض ما حصل لهم من أذية المشركين؛ حتى نقتدى بهم وننهض بأمتنا الإسلامية.

فأجاب سماحته قائلاً:

أئمة السائحين

يا بنى: أئمة السائحين رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وإمامهم الأعظم هو رسول الله ﷺ؛ لأن الله تعالى أسرى به جسمًا وروحًا مطلوبًا، مرادًا، محبوبًا، وهو المقام العلى الذى تقاصرت عن إدراكه أرواح أولى العزم من الرسل، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، فضلًا عن أجسامهم الطاهرة.

مشاهد الأنبياء ودرجاتهم في السياحة

كانت سياحته ﷺ فوق كل سياحة الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام، فإن الله أرى الخليل عليه الصلاة والسلام ملكوت السموات والأرض فخرج قائلًا: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الصافات: ٩٩). وسياحة الكليم عليه الصلاة والسلام للقيا العبد الصالح، لمزيد العلم. وسياحة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام لنجاته من الطوفان، ومن قومه. وسياحة كل نبى للنجاة من أعداء الله تعالى. وسياحته ﷺ كانت بالله وإلى الله، فأشهده آيات ملكه وملكوته، وجلال عزته وجبروته، وحظائر قدسه ولاهوته؛ حتى دنا ﷺ بالله، وتدلَّى له الله، وأوحى إليه من غيب كمالاته، وعلىّ جمالاته وجلالاته، ما أبهمه الحق سبحانه وتعالى علوًّا له أن يدركه غير حبيبه ومصطفاه ﷺ، وتنزيهًا عن أن يحيط به أحد غير الفرد المراد لذات الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾(النجم: ١٠-١١)، والفؤاد قررنا أنه برزخ بين القلب والجسم، فكأنه ﷺ كان فى دنوه من ربه بجسمه وروحه حينما تدلى الرب تعالى له عليه الصلاة والسلام، ولو لم يكن ذلك كذلك لقال: ما كذبت الروح ما رأت.

فإذا كان أئمة أهل السياحة هم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، فلكل سائح من أولياء الله قسط من تلك المواهب الإلهية، ومشرب من تلك الموارد العلية، ومشهد من تلك المشاهد الربانية، وإنى أنبه القارئ الذى لم يتفضل الله عليه بذوق ما سأبديه من غوامض أسرارهم أن يتحصن بدرع التسليم، وأن يعتقد أن عجائب القدرة وغرائب تصريفها وأسرار الحكمة وخفى غيبها، نور لا يشرق إلا على نفس تزكت، وقلب اطمأن بذكر الله، وبدن حفظه الله من الوقوع فيما يكره، وعقل عقل عن الله.

وقد أخطأ بعض من يدعى العلم، فحكم على القدرة والحكمة بما يحكم به على قدرته وحكمته، فشبَّه القديم بالحادث، وزعم - لجهله بنفسه - أنه لا قدرة فوق قدرته، ولا حكمة إلا ما عرف، وكل سر تظهره القدرة لكمال إطلاقها، وكل سر

تظهره الحكمة من الأسرار التى تناسب الحكيم الخبير العلى الكبير ينكره؛ لأن عقله الذى يعقل عن نفسه وعن الكون لا يقبله، وشتَّان بين العالم الربانى الذى يعقل عن الله تعالى، وبين الجاهل المحجوب بنفسه وحسه وعقله، فإن الأول قال كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾(آل عمران: ٧) وقال فى حق غيرهم من الذين عقلوا بغير عقلهم الإنسانى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنفال: ٢٣).

فأكرر تنبيهى على إخوانى أن السالك منهم يجب عليه أن يسلم تلك المقامات، وأن يستعيذ بالله من أن يدَّعيها لنفسه بلا وجد صادق، أو جاذب قاهر، فإن دعواها بلا تحقق بمشاهدها، وتجمل بأحوال أهلها، واقتداء بأئمة أهلها، كذب على الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(النحل: ١٠٥) فإن تلك الأسرار العلية نفائس قدسية قد تلقى بين أهل الرجس فينكرونها، ويزدرون بها، وقد تلقى بين أهل التسليم من السالكين فيخرجون عن مقاماتهم الاعتدالية، ويدعونها تقليدًا، فيكون ضررًا لكل من الطائفتين، فتأبى نفوسهم الخبيثة التى سجل الله عليها الشقاء إلا محاربة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، فيخسف الله بهم الأرض.

ومشاهد سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام فى هجرته وسياحته فوق أن تسطر على الأوراق، وأعلى من أن تمثل بالعبارة.

ثم هاجر الخليل عليه السلام، ومعه زوجه سائحًا منتقلًا من الكون إلى المكون سبحانه، فارًّا إلى الله سبحانه، مفارقًا أقرب الخلق منه، وألصقهم به وأرحمهم عادة، وما يدرينا قدر تلك الجواذب الإلهية التى أخرجته ﷺ متوجهًا إلى ربه.

لعلك أيها المطالع - إذا تبصرت - تلوح عليك أنوار شمس الخلة الخالصة، التى تجعل الخليل لا يقر له قرار إلا بالإقبال بالكلية على خليله، والفناء عن نفسه به، والرغبة عن كل شىء فيه.

ثم هاجر الكليم صلوات الله وسلامه عليه ومعه قومه من أرض تعوَّدوا على نباتها ومائها، إلى صحارى قاحلة وشدائد فادحة، وقد بيَّن القرآن المجيد قدر آلامهم، وشكواهم بعد السياحة وتمنيهم ما كانوا فيه، ليظهر لك جليًّا أن السياحة فرار إلى الله، وإقبال على حضرته بالكلية، وإنما تمنى - أى: ذلك الرجوع إلى مصر، وإلى ما تعودوه من النبات- بعض من لم يكمل إيمانهم، ممن لم يذوقوا حلاوة السياحة لله.

وإلا فأهل السياحة ما خرجوا من مكان إلى غيره، ولا من صفة إلى غيرها، ولا من حال إلى غيره، إلا وما خرجوا منه كان أحبَّ إلى أنفسهم أولًا مما خرجوا إليه؛ حتى داهمتهم صولة المحبة الإلهية، وجذبهم اصطلام الشوق إلى ما كوشفوا به من جمال ملكوته الأعلى، فصارت الآلام لهم ملاذًا، والشدائد لهم مسرات، فخرجوا متوجهين لربهم جل جلاله، فرحين بالقرب منه، مبتهجين بالحب فيه، مسرورين بما نالوا من الفوز والخلاص مما كانوا فيه.

ولما كانت السياحة سنة رسل الله، وكان التعلق بالأهل والأقارب مما يدعو إلى السكون بالأماكن، وعمل المعدات، لذلك لم يشتهر منهم بالسياحة؛ حتى صارت علمًا عليه إلا من لا زوجة له ولا ولد ولا والد، وهو المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فإنه بلغ من التخلى عن الدنيا مبلغًا؛ حتى قال: أنا لا أم لى ولا أخوة - لأمه وإخوته - فراغًا لقلبه، وراحة لبدنه، وإقبالًا على السياحة بالكلية؛ حتى أن بعض الرجال يقول: إنه إمام هذه الطائفة - يعنون أهل السياحة - الذين صرفوا عمرهم فى السياحة قلبًا وقالبًا فلم يركنوا إلى الدنيا، ولم يسكنوا إليها. ومشاهد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم المقتضية لتلك الأحوال الخارقة للعادة البشرية، هى الحجة لمن خرقوا عوائدهم البشرية، فخرقت لهم العادة فى أحوالهم ومعاملاتهم.

من هم أهل السياحة؟

أما من الصحابة فكثيرون؛ لأنهم رضي الله عنهم وأرضاهم هاجروا إلى الحبشة وإلى المدينة وغيرهما، الهجرة الحقة التى خصصهم الله بها وأفردهم لها، ورفعت مقاماتهم العلية عن أن ينافسهم فيها غيرهم؛ حتى بلغوا مبلغًا تغبطهم الملائكة والأنبياء لقربهم من الله، لما وفقهم له وأعانهم عليه سبحانه، وجملهم بمعانى موجبات رضوانه الأكبر، ودامت تلك الأبواب مفتحة لمن جذبتهم عناية الله؛ حتى فتحت مكة لرسول الله، فسبق المفردون، وصار المهاجر بعدها لا يبلغ معشار ما بلغوا، رضي الله عنهم وأرضاهم.

بعض ما حصل لهم من أذية المشركين

أورد عليك نموذجًا من صبر الصحابة على أذية المشركين، ترويحًا لنفسك، وميزانًا تزن به أحوالك الصادرة عن شهود التوحيد، وخالص المحبة لله بعد العلم، لتعلم قدر الدين عند من اجتباهم الله، ودعاهم داعي الأزل دعوة القبول، فإنهم لما سمعوا من رسول الله ﷺ دعاءه لهم سمعوا منه ﷺ بآذان قلوبهم التى دعاها الله سبحانه وتعالى فسمعت من الله سبحانه، وتلقت عنه ﷻ، فسارعوا إلى ما دعاهم إليه، وأقبلوا بالكلية عليه.

تعذيب المستضعفين من المسلمين

يا بنى: المستضعفون هم الذين سبقوا إلى الإسلام، ولا عشائر لهم تمنعهم، ولا قوة لهم يمنعون بها، فأما من كانت له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفار إليه، فلما رأوا امتناع من له عشيرة، وثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفى المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة والنار، ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان، ومنهم من تصلب فى دينه، ويعصمه الله منهم:

عمار بن ياسر:

منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسى، وهو بطن من مراد وعنس، هذا أسلم هو وأبوه وأمه، وأسلم قديمًا ورسول الله ﷺ فى دار الأرقم بن أبى الأرقم بعد بضع وثلاثين رجلًا، أسلم هو وصهيب فى يوم واحد، وكان ياسر حليفًا لبنى مخزوم، فكانوا يخرجون عمارًا وأبوه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرّ الرمضاء، فمر بهم النبى ﷺ فقال: (صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة) (أخرجه الحاكم، وأحمد، وابن منده، والطبرانى فى الأوسط). فمات ياسر فى العذاب، وأغلظت امرأته سمية القول لأبى جهل فطعنها فى قلبها بحربة فى يديه فماتت، أى: بعد أن قال لها: إنك ما آمنت بمحمد - ﷺ - إلا لأنك عشقتيه لحسنه وجماله، وهى أول شهيدة فى الإسلام رضي الله عنها، وشدد العذاب على عمار، بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى، وبالتفريق أخرى، فقالوا: لا نتركك؛ حتى تسبَّ محمدًا وتقول فى اللات والعزى خيرًا، ففعل، فتركوه، فأتى النبى ﷺ يبكى، فقال: (ما وراءك؟) قال: شر يا رسول الله، كان الأمر كذا وكذا، قال: (فكيف تجد قلبك؟)، قال: أجده مطمئنًّا بالإيمان، فقال: (يا عمار إن عادوا فعد) فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾(النحل: ١٠٦) فشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقتل بصفّين مع سيدنا علىّ عليه السلام وقد جاوز التسعين، قيل: بثلاث، وقيل: بأربع سنوات.

صهيب بن سنان الرومى

ومنهم صهيب بن سنان الرومى، ولم يكن روميًّا، وإنما نسب إليهم؛ لأنهم سبوه وباعوه، وقيل: لأنه كان أحمر اللون، وهو من النمر بن قاسط، كناه رسول الله ﷺ أبا يحيى قبل أن يولد له، وكان ممن يعذب فى الله فعذب عذابًا شديدًا، ولما أراد الهجرة، منعته قريش، فافتدى نفسه منهم بماله أجمع، رضي الله عنه وعنا بهم إنه مجيب الدعاء، آمين.

براعم الإيمان من فيض الحنان (٥٠)

بقية: جوانب التربية في الإسلام

المحاسب مصطفى فهيم
مدير إدارة الإعفاءات الشخصية بالجمارك المصرية سابقًا

بقية: أولاً: التربية الإيمانية:

بقية: كيف نزرع محبة سيد الخلق ﷺ في أبنائنا؟.

ما زلنا مع حديث سيدنا المصطفى ﷺ: [أدبوا أولادكم على ثلاثة خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن؛ فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه].

وبعد الحديث بتوفيق الله عن محبة سيد الخلق ﷺ، نتحدث بفضل الله أحبابي عن محبة أهل بيت سيدنا المصطفى ﷺ، سوف نصيغ هذا المقال على هيئة سؤال وجواب إن شاء الله.

السؤال الأول: من هم أهل بيت سيدنا المصطفى ﷺ؟

الإجابة: هم السيدة الزهراء عليها السلام، وسيدنا الإمام الحسن، وسيدنا الإمام الحسين، وسيدنا الإمام علي كرم الله وجهه، وسيدنا جعفر الطيار، وسيدنا العباس، وسيدنا حمزة، وسيدنا عقيل بن أبي طالب (كتاب النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين) للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.

السؤال الثاني: هل نص القرآن الحكيم وكذا السنة المشرفة على ضرورة محبة أهل بيت سيدنا المصطفى ﷺ؟.

الإجابة: نعم، قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

وقال سيد الخلق ﷺ: [إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل الله ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يتفرقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما].

السؤال الثالث: لماذا أمرنا الله ورسوله بمودة أهل بيت سيدنا المصطفى ﷺ؟

الإجابة: قد أوضح حضرة سماحة مولانا السيد محمد علاء الدين ماضي أبي العزائم رئيس الاتحاد العالمي للطرق الصوفية وشيخ الطريقة العربية في تقدمته الشريفة في موسوعة أهل البيت للدكتور عبد الحليم العزمي الأسباب الدقيقة المهمة في ضرورة التمسك بأهل بيت سيدنا المصطفى وهي:

١- أن أهل بيت سيدنا المصطفى ﷺ هم أولى وأحق الناس بتنفيذ الأطروحة الربانية وتطبيق الدين الحنيف على المجتمع البشري.

٢- أن أهل البيت هم الأمناء لصيانة الرسالة من أيدي العابثين، فأهل بيت النبي ﷺ هم القيادة الكفء.

٣- أهل بيت سيدنا المصطفى ﷺ هم الذين يقومون بالتربية الصحيحة للأجيال.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ومن أهل بيت سيدنا رسول الله ﷺ من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، وهو الوارث المحمدي، وهو المربي الكفء علميًّا ونفسيًّا، وهو القدوة الحسنة في الخلق والسلوك فهو الذي يستوعب الرسالة ويجسدها في حركاته وسكناته.

قال رسول الله ﷺ: [إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها].

٤- أن أهل بيت سيدنا المصطفى هم المكلفون بصيانة الرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود والحفظ من تحريف

الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية الأجيال على فهم مفاهيم الشريعة الإسلامية المباركة وكشف أسرارها وذخائرها على مر العصور.

نعي مما تقدم أن أهل البيت هم النور المحمدي (الكامل) المستمر في هذه الأمة، ولولاهم لهلكت الأمة وضاع الدين بين الحاقدين وأصحاب الأهواء.

وأقول: إن أهل البيت هم المتخصصون في هداية الخلق وحفظ مقاصد الشريعة: - حفظ الدين - حفظ العقل - حفظ المال - حفظ النفس - حفظ النسل.

وأقول للذين يقتحمون ساحة الهداية البشرية والتصدر للدعوة دون إذن أو وجه حق: أنتم غير متخصصين لهذا الأمر، فهل يستطيع طبيب أسنان أو تحاليل أن يجري عملية داخل مخ الإنسان؟ لا وألف لا، لكن لا بد من دكتور جراحة مخ وأعصاب متخصص لإجراء هذه العملية.

كذلك ورثة سيدنا المصطفى ﷺ، ووارث رسول الله في وقته هو المتخصص التخصص الكامل الشامل لهداية الخلق، وقوة الأمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تكون بعد الرجوع إلى حضرته واستشارته في كل صغيرة وكبيرة.

قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

فأهل البيت الكرام بهم النجاة في الدنيا، وبهم الكمال في الآخرة.

أهل البيت عليهم السلام بهم وبفضلهم ترجح كفة الرحيم الرحمن.

أهل بيت سيدنا المصطفى ﷺ هم الوسيلة وهم ذخر الأمة، وهم نصر للأمة، وهم نجاة للأمة، إذا نزلوا في مكان كانوا ذخرًا وبركه لهذا المكان.

يقول مولانا الإمام أبو العزائم مخاطبًا الإمام الحسين عليه السلام:

وأنت نعم ذخرًا لمصر وأهلها

وشمس بها لاحت شروقًا بلا غرب

أهل بيت سيدنا المصطفى ﷺ هم الشفعاء. يقول حضرة مولانا الإمام أبو العزائم:

وتشفع بنا لطه التهامي

تعطى ما ترتجيه من مولانا

وهم أنوار سيدنا المصطفى ﷺ. يقول مولانا الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم:

نحن أنواره فبادر إلينا

وتوسل بنا تفز برضانا

أهل بيت سيدنا المصطفى ﷺ هم الكرام، وهم الغوث، وهم الحصون، وهم الأمان للخائفين. يقول مولانا الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم:

يا كرامًا إذا سُئلتم أجبتم

وليوثًا إذا استُغثتم أغثتم

وبحارًا للمكرمات وغوثًا

وحصونًا من أَمَّكم آويتم

وحصونًا للسائلين إذا ما

يمموا فضلكم لهم أغدقتم

وأمانًا للخائفين وكهفًا

وعياذًا للمستجيرين أجرتم

وصلى الله علي سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم.

جوانب الخلاف بين جمعية العلماء والطرق الصوفية (١١)

الأستاذ الدكتور

نور الدين أبو لحية

الجمهورية الجزائرية

أن الذي يدل على التحريم ثلاثة أشياء مقررة في علم الأصول، وهي: النهي، ولفظ التحريم، وذم الفعل أو التوعد عليه بالعقاب.. والترك ليس واحدًا من هذه الثلاثة، فلذلك لا يقتضي التحريم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ولم يقل: (وما تركه فانتهوا عنه)، فالترك لا يفيد التحريم.

بقية: الفصل الأول:

جوانب الخلاف بين الجمعية والطرق الصوفية حول مفهوم البدعة وضوابطها

بقية: المبحث الثاني:

موقف الجمعية من البدعة وأدلتها

بقية: المطلب الثاني: أدلة الجمعية على موقفها من البدعة:

بقية: الاحتجاج بترك النبي ﷺ:

انطلاقًا مما ذكرناه في المقال السابق، ذكر الشيخ الغماري قاعدة مهمة هي المستند الذي يستند إليه الصوفية في إثبات جواز ما يخترعونه من تقييدات ورسوم وأوضاع، وهذه القاعدة هي أن (الترك وحده إن لم يصحبه نص على أنّ المتروك محظور لا يكون حجّة في ذلك، بل غايته أن يفيد أنّ ترك ذلك الفعل مشروع، وإمّا أنّ ذلك الفعل المتروك يكون محظورًا فهذا لا يستفاد من الترك وحده، وإنما يستفاد من دليل يدل عليه)[١].

وذكر أن هذه القاعدة ليست من وضعه، بل من تتبع استدلالات الفقهاء المعتبرين وجدهم يستعملونها في استدلالاتهم، ومن ذلك ما ذكره عن أبي سعيد بن لب الذي قال ردًّا على من كره الدعاء عقب الصلاة: (غاية ما يستند إليه منكر الدعاء إدبار الصّلوات أنّ التزامه على ذلك الوجه لم يكن من عمل السّلف، وعلى تقدير صحة هذا النقل، فالترك ليس بموجب لحكم في ذلك المتروك إلا جواز الترك وانتفاء الحرج فيه، وأمّا تحريم أو لصوق كراهية بالمتروك فلا، ولا سيما فيما له أصل جملي متقرر من الشرع كالدعاء)[٢].

ومثل ذلك ابن حزم الذي استدل بهذه القاعدة كثيرًا، ومن ذلك ما ذكره في المحلى من احتجاج المالكيّة والحنفيّة على كراهية صلاة ركعتين قبل المغرب بقول إبراهيم النخعي: (إنّ أبا بكر وعمر وعثمان كانوا لا يصلونهما) ورد عليهم بقوله: لو صح لما كانت فيه حجة؛ لأنه ليس فيه أنهم نهوا عنهما)[٣].

وبعد أن أثبت لجوء الفقهاء إلى استعمال هذه القاعدة في استدلالاتهم بين أدلتها، وهي كما يلي[٤]:

١- أن الذي يدل على التحريم ثلاثة أشياء مقررة في علم الأصول، وهي:

النهي، ولفظ التحريم، وذم الفعل أو التوعد عليه بالعقاب.. والترك ليس واحدًا من هذه الثلاثة، فلذلك لا يقتضي التحريم.

٢- أنّ الله تعالى قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ولم يقل: (وما تركه فانتهوا عنه)، فالترك لا يفيد التحريم.

٣- قوله ﷺ: (ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)[٥]، ولم يقل: (وما تركته فاجتنبوه فكيف دل الترك على التحريم؟)

٤- أنّ الأصوليين عرفوا السنّة بأنها قول النبي ﷺ وفعله وتقريره ولم يقولوا وتركه؛ لأنه ليس بدليل.

٥- أن الحكم خطاب الله، والذي يدل عليه قرآن أو سنة أو إجماع أو قياس، والترك ليس واحدًا منها فلا يكون دليلًا.

٦- أن الترك يحتمل أنواعًا غير التحريم، والقاعدة الأصولية أن ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال، بل سبق أيضًا أنه لم يرد أنّ النبي ﷺ إذا ترك شيئًا كان حرامًا وهذا وحده كاف في بطلان الاستدلال به.

٧- أن الترك ظل كأنه عدم فعل، والعدم هو الأصل والفعل طارئ، والأصل لا يدل على شيء لغة ولا شرعًا، فلا يقتضي الترك تحريمًا.

وختم رسالته بذكر نماذج من الترك منها الاحتفال بالمولد النبوي، والاحتفال بليلة المعراج، وإحياء ليلة النصف من شعبان، وتشييع الجنازة بالذكر، وقراءة القرآن على الميت في الدار، قراءة القرآن عليه في القبر قبل الدفن وبعده، وصلاة التراويح أكثر من

إن الأصوليين عرفوا السنّة بأنها قول النبي ﷺ وفعله وتقريره ولم يقولوا وتركه؛ لأنه ليس بدليل. وإن الحكم خطاب الله، والذي يدل عليه قرآن أو سنة أو إجماع أو قياس، والترك ليس واحدًا منها فلا يكون دليلاً. وإن الترك يحتمل أنواعًا غير التحريم، والقاعدة الأصولية أن ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال، بل سبق أيضًا أنه لم يرد أنّ النبي ﷺ إذا ترك شيئًا كان حرامًا وهذا وحده كاف في بطلان الاستدلال به.

ثماني ركعات، ثم عقب عليها بقوله: (فمن حرّم هذه الأشياء ونحوها بدعوى أن النبي ﷺ لم يفعلها فاتلُ عليه قول الله تعالى: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، لا يقال: وإباحة هذه الأشياء ونحوها داخلة في عموم الآية لأنا نقول: ما لم يرد نهي عنه يفيد تحريمه أو كراهته، فالأفضل فيه الإباحة لقول النبي ﷺ: (وما سكت عنه فهو عفو)[٦]، أي مباح)[٧].

الاحتجاج بما ورد عن الصحابة والسلف:

ومن أهم ما ورد في ذلك ما ورد عن عبد الله بن مسعود من إنكاره على بعض من قيد العبادة بما لم يرد في النصوص تقييده، فقد روى عمرو بن سلمة بن الحارث قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فجاءنا أبو موسى الأشعري.. فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا. قال: فما هو؟. قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلْقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئة؛ فيكبرون مئة، فيقول: هللوا مئة؛ فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مئة، فيسبحوا مئة.. ثم مضى، ومضينا معه، حتى أتى حلْقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟!. قالوا: حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده أنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ؟!! أَوَمفتَتِحوا باب ضلالة؟!. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيَهم، وأيم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم. قال عمرو بن سلمة: رأينا عامّة أولئك الحِلَق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج[٨].

---

(١) الغماري: حسن التفهم والدرك لمسالة الترك، ص١١.

(٢) الغماري: حسن التفهم والدرك لمسالة الترك، ص١٢.

(٣) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المحلى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (٢/٢٥٤).

(٤) الغماري: حسن التفهم والدرك لمسالة الترك، ص١٢، وما بعدها.

(٥) صحيح مسلم. (٧/ ٩١).

(٦) نص الحديث هو: (ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئًا، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]) (مسند البزار (١٠/ ٢٦).

(٧) الغماري: حسن التفهم والدرك لمسالة الترك، ص٥٠.

(٨) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (٤/ ٣٨٠- ٣٨١).

E- mail : abdelhalem_elazmy@hotmail.com
محمول: ٠١٢٢-٧١٦-٨٠٢٨
٠١٠٦٦-٨٨٠-٧٨٣

ثاني المسيحين: الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام

❁ استوقفتني طويلاً عبارة الإمام أبي العزائم: (هذا ثاني المسيحين!! الحسين بن علي، أنفذ فيه المسلمون ما حاول اليهود من عيسى ابن مريم).

❁ إن لكل من المسيحين ارتباط بالدولة الخاتمة لأهل البيت، فالمسيح الأول عضد إمامها، وإمامها من نسل الإمام الحسين عليهما السلام.

❁ وصف الإمام أبو العزائم الإمام الحسين بقوله: أنت عيسى الشهيد في الاقتداء، فكما أن المسيح الأول شهيد على أمته أمام الله عز وجل، فالمسيح الثاني شهيد أيضًا على أمته أمام الله عز وجل.

❁ أما آن الأوان أن ندعو الناس للإسلام باسم الإمام الحسين، وأن نرفع الظلم عن الأمة اقتداء بالإمام الحسين، وأن نرفع رايات الإمام الحسين، ونكثر المنابر التي تتحدث بلسانه؟.

يَصِفُ الإمَامُ المُجَدِّدُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ مَاضِي أبُو العَزَائِمِ يَومَ كَربَلاءَ فيَقُولُ:

(... كَانَ أصْحَابُ الحُسَيْنِ قَلِيلِينَ، أكثَرُهُمْ أهْلُ بَيْتِهِ، وكَانَ مَوْقِفُهُمْ مُبْعَدِينَ عَنِ النَّهرِ، مَحرُومِينَ مِنَ المَاءِ جَدِيرًا أنْ يَدفَعَهُمْ إلى التَّسلِيمِ مِنْ قَرِيبٍ، وكانَ في وُسْعِ ابنِ زِيَادٍ أنْ يَنَالَهُمْ مِنْ غَيرِ حَربٍ ولا قِتَالٍ.

وقد حَرَّمَ الحُسَيْنُ عَلَى مَنْ مَعَهُ أنْ يُشْهِرُوا سِلاَحًا أو يَبْدَأُوا قِتَالاً، ولكِنَّ ابنَ زِيَادٍ رَأى أنَّ مُطَاوَلَةَ الحُسَيْنِ وإمْهَالَهُ حَتَّى يُسْلِمَهُ الظَّمَأُ حَرِيٌّ أنْ يَزِيدَ في جَمْعِهِ، وأنْ يُقَوِّيَ مِنْ عُدَدِهِ، فدَفَعَ الجَيْشَ عَلَيْهِمْ كالسَّيْلِ، فإذَا هُمْ مُصْرَعُونَ، وإذَا حَوَافِرُ الخَيْلِ تَدُقُّ هَامَ الأشْرَافِ وصُدُورَ المُؤْمِنِينَ، وإذَا أمْجَدُ آيَةٍ في التَّضحِيَةِ يَخُطُّهَا الدَّمُ الزَّكِيُّ عَلَى صَفَحَاتِ الصَّعِيدِ بِكَربَلاءَ.

هذا ثَانِي المَسِيحَيْنِ!! الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ، أنفَذَ فِيهِ المُسْلِمُونَ ما حَاوَلَ اليَهُودُ مِنْ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ، فمَا أبْشَعَ الظُّلْمَ، وما أجَلَّ الفِدَاءَ، شَيْخٌ تَقِيٌّ أشيَبُ[1]، نَفسٌ زَكِيَّةٌ طَاهِرَةٌ، قَلبٌ نَبِيلٌ حُرٌّ، استَصْرَخَهُ مَظْلُومُونَ لِيَقُودَهُمْ في وَجْهِ البَغْيِ ولَبَّى، فإذَا هُوَ وآلُهُ وَوُلْدُهُ وقَومُهُ جَزْرٌ لسُيُوفِ المَظْلُومِينَ المُستَصْرِخِينَ بِهِ)[2].

ثاني المسيحين

وقَدِ اسْتَوْقَفَتْنِي طَوِيلًا عِبَارَةُ الإمَامِ أبي العَزَائِمِ: (هذا ثَانِي المَسِيحَيْنِ!! الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ، أنْفَذَ فِيهِ المُسْلِمُونَ ما حَاوَلَ اليَهُودُ مِنْ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ)، وتَسَاءَلْتُ ما العَلاقَةُ بَيْنَ الإمَامِ الحُسَيْنِ والسَّيِّدِ المَسِيحِ عليه السلام؟.

المَسِيحُ في القُرْآنِ:

عُدْتُ إلى القُرْآنِ الكَرِيمِ فوَجَدْتُ مَكَانَةً مَرْمُوقَةً للمَسِيحِ الأوَّلِ سَيِّدِنَا عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ عليه السلام، مِنْهَا:- الوِلادَةُ العَجِيبَةُ، حَيْثُ وُلِدَ بِلَا أبٍ.

- ومِنْهَا أَلْقَابُ المَسِيحِ، مِثْلُ: كَلِمَةِ اللهِ، ورُوحِ اللهِ، والوَجِيهِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

- ومِنْهَا مُعْجِزَاتُ المَسِيحِ: كالخَلْقِ، وإحْيَاءِ المَوْتَى، وإبْرَاءِ الأكْمَهِ والأبْرَصِ، والعِلْمِ بغَيْبِ الشُّئُونِ.

- ومِنْهَا: عِصْمَةُ المَسِيحِ عَنِ الخَطَايَا.

وتَأَمَّلْتُ في أوْجُهِ الشَّبَهِ بَيْنَ المَسِيحِ الأوَّلِ وثَانِي المَسِيحَيْنِ، فوَجَدْتُ ما يَلِي:

أوَّلًا: يَنْحَدِرَانِ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ مُبَارَكَةٍ

بَدَأَتْ مُنْذُ سَيِّدِنَا إبْرَاهِيمَ عليه السلام وانْتَهَتْ بسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، هذِهِ الشَّجَرَةُ المُبَارَكَةُ تَحَدَّثَ عَنْهَا القُرْآنُ بقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣٣، ٣٤)، هذِهِ الشَّجَرَةُ المُبَارَكَةُ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى ذُرِّيَّتَهَا كُلَّهَا أنْبِيَاءَ وأوْصِيَاءَ وحُجَجًا علَى الخَلْقِ، بَعْدَ اسْتِثْنَاءِ الظَّالِمِينَ.

ثانِيًا: الأُمُّ

تَتَشَابَهُ أُمُّ السَّيِّدِ المَسِيحِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ

الأمين العام والمتحدث الرسمي للاتحاد العالمي للطرق الصوفية الدكتور عبد الحليم العزمي

عليها السلام مَعَ أُمِّ الإمَامِ الحُسَيْنِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام في عِدَّةِ أَلْقَابٍ، فالسَّيِّدَةُ مَرْيَمُ تُلَقَّبُ بسَيِّدَةِ النِّسَاءِ والسَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ تُلَقَّبُ بسَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ، وأيْضًا تُعْرَفُ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ بالصِّدِّيقَةِ وتُعْرَفُ السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ بالصِّدِّيقَةِ الطَّاهِرَةِ، ويَشْتَرِكُ كُلٌّ مِنْهُمَا في لَقَبِ البَتُولِ.

ثالِثًا: مُدَّةُ الحَمْلِ

فلَقَدْ كَانَتْ مُدَّةُ حَمْلِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ بسَيِّدِنَا عِيسَى سِتَّةَ أشْهُرٍ، وكذلكَ السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ كانَتْ مُدَّةُ حَمْلِهَا بالإمَامِ الحُسَيْنِ سِتَّةَ أشْهُرٍ.

رَابِعًا: كَرَاهِيَةُ الحَمْلِ

لمَّا حَمَلَتِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ بالسَّيِّدِ المَسِيحِ بِلَا أبٍ، كَرِهَتْ هذا الحَمْلَ خَوْفًا مِنْ قَوْمِهَا، فقَالَتْ: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ (مريم: ٢٣).

وقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ علَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وقَالَ: تَحْمِلُ فَاطِمَةُ وَلَدًا تَقْتُلُهُ أُمَّتُكَ غَرِيبًا عَطْشَانًا، فلمَّا حَمَلَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ كَرِهَتِ الحَمْلَ؛ لأنَّهُ سَيُقْتَلُ، ويُقَالُ[٣] بأنَّ الآيَةَ الشَّرِيفَةَ التَّالِيَةَ نَزَلَتْ في شَأْنِ الإمَامِ الحُسَيْنِ عليه السلام، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٥).

وهكذا يَأْتِي التَّعْبِيرُ عَنِ أوَّلِ المَسِيحَيْنِ بقَوْلِهِ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ (مريم: ٣٢)، وبالمُقَابِلِ يَأْتِي التَّعْبِيرُ عَنِ الإمَامِ الحُسَيْنِ ثَانِي المَسِيحَيْنِ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾، وقالَ أوَّلُ المَسِيحَيْنِ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ (مريم: ٣٠)، وبالمُقَابِلِ قالَ ثَانِي المَسِيحَيْنِ: ﴿إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أيْ: مِنْ عِبَادِ اللهِ الذين أسْلَمُوا وَجْهَهُمْ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

خَامِسًا: البَرَكَةُ

يَتَّصِفُ أوَّلُ المَسِيحَيْنِ وثَانِي المَسِيحَيْنِ بأنَّ وُجُودَ كُلٍّ مِنْهُمَا بحَدِّ ذَاتِهِ سَبَبٌ للبَرَكَةِ الوَافِرَةِ، فسَيِّدُنَا عِيسَى قَالَ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ (مريم: ٣١)، وذَكَرَ أبُو السُّعُودِ في مَعْرِضِ شَرْحِهِ للبُرْدَةِ حَدِيثًا يَقُولُ: (إنَّ اللهَ جَعَلَ للإمَامِ الحُسَيْنِ: الشِّفَاءَ في تُرْبَتِهِ، والأئِمَّةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وإجَابَةَ الدُّعَاءِ تَحْتَ قُبَّتِهِ)، وهذَا الحَدِيثُ مَكْتُوبٌ علَى البَابِ الذي بِجَوَارِ المِنْبَرِ بمَسْجِدِ الإمَامِ الحُسَيْنِ بالقَاهِرَةِ، وفي مَصَادِرِ الشِّيعَةِ يَذْكُرُونَ هذا الحَدِيثَ، إلاَّ أنَّهُمْ يَقُولُونَ: (وإجَابَةُ الدُّعَاءِ عِنْدَ قَبْرِهِ)[٤].

سَادِسًا: الرِّسَالَةُ

لخَّصَ السَّيِّدُ المَسِيحُ رِسَالَتَهُ في إنْجِيلِ لُوقَا، بقَوْلِهِ: [رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ؛ لأنَّهُ مَسَحَنِي

لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ][٥].

ولخَّصَ الإمامُ الحُسَيْنُ نَهْضَتَهُ في نِدَائِهِ عِنْدَمَا خَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ: (إِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِرًا ولا بَطِرًا ولا ظَالِمًا ولا مُفْسِدًا، إِنَّمَا خَرَجْتُ لطَلَبِ الإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدِّي)[٦].

سَابِعًا: تَجَرُّأُ الأُمَّةِ عَلَى القَتْلِ

يَشْتَرِكُ أَوَّلُ وثَانِي المَسِيحَيْنِ في تَجَرُّؤِ أُمَّتَيْهِمَا علَى قَتْلِهِمَا، فالمَسِيحُ الأَوَّلُ حَاوَلَ اليَهُودُ عَنْ طَرِيقِ الحَاكِمِ الرُّومَانِيِّ أَنْ يَقْتُلُوهُ صَلْبًا، لكِنَّ اللهَ تعَالَى رَفَعَهُ إِلَيْهِ وأَلْقَى شَبَهَهُ علَى تِلْمِيذِهِ يَهُوذَا الذي وَشَى بِهِ، مُقَابِلَ دَرَاهِمَ مَعْدُودَاتٍ.

والمَسِيحُ الثَّانِي أَنْفَذَ فِيهِ مِنْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أُمَّةِ جَدِّهِ ﷺ ما حَاوَلَ اليَهُودُ أَنْ يُنَفِّذُوهُ في عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فحَكَمُوا علَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَشَدُّ إِجْرَامًا مِنَ اليَهُودِ، فعَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ.

ثَامِنًا: عَلاقَةُ المَسِيحَيْنِ بِدَوْلَةِ أَهْلِ البَيْتِ في الخِتَامِ

إِنَّ لِكُلٍّ مِنَ المَسِيحَيْنِ ارْتِبَاطٌ بالدَّوْلَةِ الخَاتِمَةِ لأَهْلِ البَيْتِ، فالسَّيِّدُ المَسِيحُ عَضُدُ إِمَامِهَا، وقَدِ اتَّفَقَ المُؤَرِّخُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِيهَا، فَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ قالَ ﷺ: (كَيْفَ بِكُمْ إِذَا نَزَلَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ عَلَيْكُمْ وإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ)[٧]، وأَضَافَ ابنُ مَاجَةَ[٨]: أَنَّهُ يُقَدِّمُهُ في بَيْتِ المَقْدِسِ ويُصَلِّي خَلْفَهُ، إِذَنْ هُنَاكَ ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ بَيْنَ المَسِيحِ الأَوَّلِ وبَيْنَ الدَّوْلَةِ الخَاتِمَةِ.

وكَذَلِكَ هُنَاكَ ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ بَيْنَ ثَانِي المَسِيحَيْنِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ وبَيْنَ الدَّوْلَةِ الخَاتِمَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوَجْهِ الأَوَّلِ: أَنَّ إِمَامَهَا مِنْ نَسْلِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ عليه السلام.

الوَجْهِ الثَّانِي: أَنَّ هذهِ الدَّوْلَةَ مَرَّتْ بمَرَاحِلَ:

مَرْحَلَةِ النَّبِيِّ ﷺ الذي زَرَعَ البَذْرَةَ، قالَ تعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

وقد أَشَارَ الإِمَامُ أَبُو العَزَائِمِ في كِتَابِهِ الجَفْرِ: أَنَّ الإِسْلامَ سَوْفَ يَعْلُو علَى كُلِّ دِينٍ تَحْقِيقًا لوَعْدِهِ تعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، بَعْدَ أَنْ يُعْلِنَ إِمَامُ دَوْلَةِ أَهْلِ البَيْتِ عن قِيَامِهَا، وانْدِحَارِ كُلِّ خَائِنٍ مُوَالٍ للأَعْدَاءِ في بِلادِ الإِسْلامِ، وانْمِحَاءِ الكُفْرِ مِنْهَا، فيَقُولُ ﷺ:

يُظْهِرُ اللهُ دِينَهُ بإِمَامٍ
حَقَّقَ اللهُ بالقُرْآنِ انْتِصَارَهْ
حَوْلَهُ الحِزْبُ حِزْبُ رَبِّ قَوِيٍّ
آيَةُ الذِّكْرِ وَضَّحَتْ لِي الإِشَارَهْ
سَوْفَ يَأْتِي؛ وَعْدٌ مِنَ اللهِ حَقٌّ
فَاقْرَأَنْهَا بنَصِّهَا والعِبَارَهْ
كُلُّ خِبٍّ مُسَارِعٍ في الأَعَادِي
سَوْفَ يُبْلَى بنَكْبَةٍ أَوْ بِغَارَهْ
يَنْمَحِي الكُفْرُ مِنْ بِلادٍ أَضَاءَتْ
والكِرَامُ الأَبْدَالُ تَمْحُو شَرَارَهْ
وَيْ لدَيْهَا يَعْلُو علَى كُلِّ دِينٍ
دِينُ رَبِّي فَاتْلُ لَنَا أَخْبَارَهْ[٩]

ثُمَّ كَانَتِ المَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ هي مَرْحَلَةُ الإِمَامِ الحُسَيْنِ عليه السلام، الذي سَقَى بدَمِهِ البَذْرَةَ التي زَرَعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ولَوْلا الإِمَامُ الحُسَيْنُ لتَبَدَّلَتْ أَحْكَامُ الإِسْلامِ بأَحْكَامِ الجَاهِلِيَّةِ.

وقَدْ أَجَادَ القَائِلُ: (الإِسْلامُ مُحَمَّدِيُّ الوُجُودِ، حُسَيْنِيُّ البَقَاءِ).

ثُمَّ تَكُونُ المَرْحَلَةُ الأَخِيرَةُ للدَّوْلَةِ الخَاتِمَةِ علَى يَدِ إِمَامٍ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ الكِرَامِ، رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ في مُسْنَدِهِ، قَالَ ﷺ: (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدنيا إِلَّا يَوْمٌ لبَعَثَ اللهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا)[١٠]، وأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ ﷺ: (يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي)[١١]، ويَكُونُ شِعَارُهُ: (يَا لَثَارَاتِ الحُسَيْنِ).

خُلاصَةُ الكَلامِ: أَنَّ الإِمَامَ الحُسَيْنَ شَهِيدُ العَقَائِدِ الإِنْسَانِيَّةِ والأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ، قَالَ الكَاتِبُ المَسِيحِيُّ أَنْطُوَانْ بَارَا: (لو كَانَ الحُسَيْنُ مِنَّا لنَشَرْنَا لَهُ في كُلِّ أَرْضٍ رَايَةً، ولأَقَمْنَا لَهُ في كُلِّ أَرْضٍ مِنْبَرًا، ولدَعَوْنَا النَّاسَ إلى المَسِيحِيَّةِ باسْمِ الحُسَيْنِ).

وقالَ غَانْدِي مُحَرِّرُ الهِنْدِ: (تَعَلَّمْتُ مِنَ الحُسَيْنِ كَيْفَ أَكُونُ مَظْلُومًا فَأَنْتَصِرُ)[١٢].

فيَا أُمَّةَ الإِسْلامِ: أَمَا آنَ الآوَانُ أَنْ نَدْعُوَ النَّاسَ للإِسْلامِ باسْمِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ، وأَنْ نَرْفَعَ الظُّلْمَ عَنِ الأُمَّةِ اقْتِدَاءً بالإِمَامِ الحُسَيْنِ، وأَنْ نَرْفَعَ رَايَاتِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ، ونُكْثِرَ المَنَابِرَ التي تتَحَدَّثُ بلِسَانِهِ؟.

تَاسِعًا: المَسِيحُ أَمِينٌ في شَهَادَتِهِ

يَكْشِفُ الإِمَامُ أَبُو العَزَائِمِ وَجْهَ الشَّبَهِ الأَخِيرَ بَيْنَ المَسِيحَيْنِ في قَصِيدَتِهِ التي نُشِرَتْ في كِتَابِ (صَحِيفَةِ الأَوْلِيَاءِ)، يَقُولُ لجَدِّهِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ:

أَنْتَ نُورٌ مِنْ سَيِّدِ ٱلأَنْبِيَاءِ
أَنْتَ فَرْعُ ٱلْبَتُولِ وَٱلأَصْفِيَاءِ
أَنْتَ يَا سَيِّدِي ٱلْحُسَيْنُ وَصِيٌّ

مِنْ وَصِيٍّ مِنْ دُرَّةٍ فِي ٱلصَّفَاءِ
قَدْ شَهِدْتُ ٱلْغُيُوبَ بَدْءًا وَخَتْمًا
فَشَهِيدٌ مِنْ خِيرَةِ ٱلشُّهَدَاءِ
مِنْ جَمَالِ ٱلْمُخْتَارِ نَصُّ حَدِيثٍ
بَلْ وَمِنْكَ ٱلْمُخْتَارُ فِي ٱلأَنْبِيَاءِ
صَاغَكَ ٱللَّهُ مِنْ جَمَالٍ وَتَقْوَى
أَنْتَ عِيسَى ٱلشَّهِيدُ فِي ٱلإِقْتِدَاءِ[١٣]

وتَوَقَّفْتُ مُتَأَمِّلًا أَمَامَ قَوْلِ الإِمَامِ أَبِي العَزَائِمِ للإِمَامِ الحُسَيْنِ: (أَنْتَ عِيسَى ٱلشَّهِيدُ فِي ٱلإِقْتِدَاءِ)، ففَتَحَ اللهُ تعالى بَابَ فَضْلٍ، دَخَلْتُهُ فوَجَدْتُ أَنَّ شَهَادَةَ الحَقِّ بالنِّسْبَةِ للإِنْسَانِ المُخْتَارِ مُهِمَّةٌ لا يَقْدِرُ عَلَيْهَا، ولا يَتَصَدَّى لهَا إلاَّ أُولُو العَزْمِ، الذين جَمَعُوا بَيْنَ عُمْقِ المَعْرِفَةِ وأَصَالَتِهَا وصَفَائِهَا والتَّجَرُّدِ لمَرْضَاةِ اللهِ تبَارَكَ وتعالَى، مَهْمَا اشْتَدَّتْ علَيْهِمُ الضُّغُوطُ والمِحَنُ، ومَهْمَا نَاوَشَتْهُمُ الإِغْرَاءَاتُ المَادِّيَّةُ والرَّغْبَةُ في طُولِ البَقَاءِ.

تِلْكَ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ، والرُّؤْيَةُ الصَّافِيَةُ التي تَخْتَرِقُ الحُجُبَ، أَرْوَعُ مَا يُوَضِّحُهَا تِلْكَ الكَلِمَةُ التي أَرْسَلَهَا الإِمَامُ الحُسَيْنُ لأَخِيهِ مُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ: (مِنَ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ إلى أخِيهِ مُحَمَّدٍ ومَنْ قِبَلَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، أمَّا بَعْدُ: إنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ، وإنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ، والسَّلَامُ)، تَصْدِيقًا لقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥).

الشَّهَادَةُ إذًا هي عُنْوَانُ الحَقِّ والحَقِيقَةِ التي لا يُمْكِنُ تَغْيِيرُهَا ولا تَبْدِيلُهَا، وكَمَا أَنَّ الشَّمْسَ مَعْرُوفَةٌ بالعَيْنِ والأَثَرِ، فالحَقِيقَةُ تَثْبُتُ وُجُودًا وتَثْبُتُ بشَهَادَةِ أَهْلِ الحَقِّ الذين لَمْ تُقْتَصِرْ مُهِمَّتُهُمْ علَى البَلاغِ نِذَارَةً وبِشَارَةً، قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٦ – ١١٨).

فالشَّهَادَةُ كمَا أَنَّهَا وَظِيفَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، فهِيَ أَيْضًا وَظِيفَةٌ أُخْرَوِيَّةٌ يَنْهَضُ بِهَا خَاصَّةُ أَوْلِيَاءِ اللهِ، وهي لَيْسَتْ قَاصِرَةً علَى مَقَامِ النُّبُوَّةِ الذي لهُ شَهَادَةٌ عَامَّةٌ شَامِلَةٌ، كَمَا في قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤١، ٤٢)، وهي وَظِيفَةٌ مُمْتَدَّةٌ في الأَئِمَّةِ الأَطْهَارِ، قالَ تعالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ * يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (غافر: ٥١، ٥٢).

فكَمَا أَنَّ المَسِيحَ الأَوَّلَ شَهِيدٌ علَى أُمَّتِهِ أَمَامَ اللهِ ﷻ، فالمَسِيحُ الثَّانِي شَهِيدٌ أَيْضًا علَى أُمَّتِهِ أَمَامَ اللهِ ﷻ، وصَدَقَ الإِمَامُ أَبُو العَزَائِمِ حِينَ قَالَ للإِمَامِ الحُسَيْنِ: (أَنْتَ عِيسَى ٱلشَّهِيدُ فِي ٱلإِقْتِدَاءِ).

نسأل الله تعالى أن يكشف لقلوبنا حقيقة الجمال الربَّانى, الذى به ننجذب بكليتنا إلى الرضوان الأكبر.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله أجمعين.

---

(١) كان عمر الإمام يوم استشهاده ثمانية وخمسين عامًا.

(٢) ينظر: مجلة الإسلام وطن السنة (١٩) العدد (٢٢١) المحرم ١٤٢٦هـ – فبراير – مارس ٢٠٠٥م.

(٣) رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ذكرها ابن قولويه في كامل الزيارات ص١٢٢.

(٤) ينظر: بحار الأنوار: ٢١١/٤٤، ورواه الحر العاملي في وسائل الشيعة ٥٣٧/١٤ بلفظ: (روي أن الله عوض الحسين عليه السلام من قتله أربع خصال: جعل الشفاء في تربته، وإجابة الدعاء تحت قبته، والأئمة من ذريته، وأن لا تعد أيام زائريه من أعمارهم).

(٥) ينظر: الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح الرابع، الآية ١٨.

(٦) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة لحسين الشاكري ٩٩/٦-١٠٠، ومقتل الحسين للموسوي ص١٣٩.

(٧) ينظر: صحيح البُخَارِيّ في كِتَابِ الأَيْمَانِ والنُّذُورِ ح٦٣٢٦.

(٨) ينظر: سنن ابن ماجة ٥٣٠/٥ ح٤٠٧٧.

(٩) ينظر: الجفر للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم ص١٧٢.

(١٠) ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٦٣/٢ ح٧٧٣.

(١١) ينظر: سنن الترمذي ١٧٤/٨ ح٢١٥٦.

(١٢) ينظر: نظرة في إحياء مراسم عاشوراء لمحمد تقي مصباح اليزدي ٧/١، وموسوعة أعمال المهاتما غاندي ٥١٨/١٣، ط.٢، ١٩٦٩م.

(١٣) ينظر: صحيفة الأولياء للإمام أبي العزائم ٤٣/١.

سيرة الرسول ﷺ

بعيون مفكرة وراهبة إنجليزية

[٤/٤]

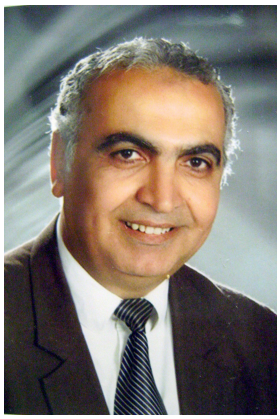

الأستاذ
صلاح البيلي

بقية: مقدمة المؤلفة

كانت أول محاولة موضوعية لتصور الإسلام حين قام بيتر المبجل سنة ١١٤١م بجولة في أديرة القديس بنيدكنت في إسبانيا المسيحية، وتكليف فريق من المسحيين والمسلمين برئاسة رجل انجليزي يدعى روبرت كيتون بترجمة بعض النصوص الإسلامية، واكتمل المشروع في سنة ١١٤٣م وكان من ثماره أول ترجمة لاتينية للقرآن وبعض الكتب والرسائل، وكتب بيتر دراسة عنوانها (ملخص البدعة الكاملة التي أتت بها طائفة الشرقيين الشيطانية)، وعندما قام الملك لويس السابع بالحملة الصليبية الثانية سنة ١١٤٧م كتب بيتر إليه أنه يتمنى أن يقتل عددًا كبيرًا من المسلمين، عددًا يوازي من قتلهم موسى ويوشع من الأموريين والكنعانيين.

وأثناء الحملة الصليبية الخامسة سنة ١٢١٨م قام القديس فرانسيس أسيسي بالذهاب إلى معسكر الملك الكامل الأيوبي في دلتا نهر النيل في مصر وظل معه ثلاثة أيام يدعوه للمسيحية، وعاد معززًا دون أن يمسه سوء، وبدأ القس الفرانسيسكان في التبشير بالمسيحية، في الأندلس والمغرب وسبتة وفي القدس وعكا، ولكن ما إن يذمون نبي الإسلام؛ حتى يضربهم المسلمون ويطردونهم.

وفي نهاية القرن الثالث عشر قام العالم الدونمينيكي ريكولدومونتي كروتشي بجولة في البلدان الإسلامية وقال: إن على المسيحيين أن يخجلوا من ورع المسلمين. ولكنه حين عاد لأوربا كتب دراسته (إقامة الحجة)، وهي الدراسة التي ترجمها وعاد إليها لوثر سنة ١٥٤٢م حين وجد أن الممالك المسيحية مهددة من الأتراك المسلمين، وخلص إلى أن الإسلام دين ساذج، وأن العدو الأول للمسيحية البابا والكنيسة الكاثوليكية، وبعض المصلحين الآخرين اعتبروا روما رأس المسيح الدجال و(المحمديين) جسده، وبعد سقوط بيزنطة سنة ١٤٥٣م على يد الأتراك حاول كل من جون سيسجوفيا ونيكولاس كوسا ترجمة القرآن وفهم الإسلام لمواجهته، وفي سنة ١٦٩٧م كتب بارتلمي ديربيلو (المكتبة الشرقية) ووصف بأنه ناقل المعارف الإسلامية الأولي، ومع هذا فحين تكلم عن محمد تكلم كمن سبقوه من تطرف وغلو وإزدراء، وفي نفس العام نشر المستشرق (همفري بريدو) كتابه (محمد: طبيعة الدجل الحقيقية) وردد نفس أوهام العصور الوسطى، وسنة ١٧٠٨م نشر (سايمون أوكلي) المجلد الأول من كتابه (تاريخ المسلمين) وأغضب كثيرين؛ لأنه لم يقل إن الإسلام دين سيف وعنف وحرب، وسنة ١٧٣٤م نشر (جورج سيل) ترجمة رائعة للقرآن، وسنة ١٧٥١م نشر (فرانسوا

فولتير) كتابه (أخلاق الأمم وروحها) ومدح محمدًا باعتباره مفكرًا سياسيًّا عميق النظرة ومؤسس دين عقلاني حكيم، اتسم بالتسامح أكثر من المسيحية، وكان المستشرق الهولندي يوهان يعقوب رايسكي ١٧٧٤م دارسًا للعربية واستطاع أن يستشف المسحة الربانية في حياة محمد، ولكنه تعرض للاضطهاد من بعض زملائه، وبدأت تنمو حركة تنوير تصور محمد كرجل حكيم، مثل كتاب (حياة محمد) للكونت هنري دي بولانفييه في باريس سنة ١٧٣٠م ولندن في العام التالي، ولكنه قال: إن محمدًا كان بطلًا مثل يوليوس قيصر والإسكندر، وفي نهاية هذا القرن وضع إدوارد جيبون كتابه (تدهور الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) وقال فيه بسماحة الإسلام، إلا أن فولتير كتب مسرحيته (محمد أو التعصب) سنة ١٧٤١م ووصفه بالدجال، ويصف توماس كارلايل سنة ١٨٤١م في محاضرته (البطل باعتباره نبيًّا) محمدًا بصورة أقرب للموضوعية مع ازدرائه للقرآن ورفضه، ووصفه بأنه (خليط غير مترابط يرهق القارئ، غليظ النسج ركيك التركيب غاص بالتكرار والإسهاب والمماطلات، وباختصار هو بالغ الغلظة والركاكة والغباء الذي لا يطاق).

وفي ١٧٩٨م أبحر نابليون بصحبة العشرات من المستشرقين في معهد الدراسات المصرية الذي أسسه، وزعم أمام ستين شيخًا من الأزهر أنه مسلم ويقدر نبي الإسلام، وانتهت حملته بالفشل، ومع القرن التاسع عشر انطلق الاستعمار الفرنسي والبريطاني واستدعى روح القرون الوسطى الصليبية، وكتب (فرانسو رينية دي شاتوبريان) عن الإسلام كدين ضد الحضارة، وفي ١٨١٠ و١٨١١م كتب كتابه الشهير (الرحلة من باريس إلى أورشليم ومن أورشليم إلى باريس) وأطلق خياله الصليبي واتهم الإسلام بكل رذيلة، ثم اتبعه عالم اللغة الفرنسي أرنست رينان فقال: إن العربية والعبرية من اللغات المنحطة، وإن كلًّا من اليهود والعرب يمثلون مجموعة متدنية من البشر، وهو الخطاب الذي استغله هتلر لاحقًا وقال بتفوق الجنس الآري وعادى كل أجنبي في أوربا، وفي ١٨٣٠م احتل الفرنسيون الجزائر، واحتلت بريطانيا عدن سنة ١٨٣٩م ثم احتلت مصر سنة ١٨٨٢م ثم السودان سنة ١٨٩٨م، واحتلت فرنسا تونس والمغرب، وحين وصل الجنرال اللنبي إلى القدس سنة ١٩١٧م قال: (الآن اكتملت الحروب الصليبية)، ولذلك ربط العرب والمسلمون بين الاستعمار الغربي والتبشير بالمسيحية، وحين وصل القائد الفرنسي لدمشق دخل على ضريح القائد صلاح الدين وصاح (لقد عدنا يا صلاح الدين)، وأظهر اللورد كرومر في مصر إزدراء للشيخ محمد عبده حين حاول إصلاح الأزهر وتحرير الدين من بعض التقليدية، وأعلن كرومر أن الإسلام عاجز عن إصلاح نفسه، ووضع أفكاره في كتابه (مصر الحديثة) في مجلدين، وقال فيهما: إن الشرقي يتسم بنزعة طفولية لا رجاء في تغييرها، ويعتبر النقيض لما (نحن) عليه.

ثم ظهر آخرون حاولوا تفهم الإسلام مثل (لويس ماسينيون وجيب وهنري كوربان وآن ماري شيمل وبلفريد كالتويل سميث) وغيرهم ممن ينظرون لمحمد على أنه ليس عدوًّا للغرب ويراجعون أنفسهم في محاولة لإنصاف الإسلام.

وعبر عشرة فصول هي: (العدو الأول، رجل الله، الجاهلية، الوحي، النذير، اختراق الطريق، الهجرة، الحرب المقدسة، السلم المقدس، وفاة الرسول)، استعرضت المؤلفة قصة النبي والدعوة الإسلامية بعين غربية إنجليزية كانت راهبة يومًا ما، وهي محاولة جديرة بالقراءة؛ لأنها الأقرب للإنصاف حتى اليوم.

عبر عشرة فصول استعرضت المؤلفة قصة النبي والدعوة الإسلامية بعين غربية إنجليزية كانت راهبة يومًا ما، وهي محاولة جديرة بالقراءة؛ لأنها الأقرب للإنصاف حتى اليوم.

قيم علمية من الشعر العربي (٥/١)

الكاتب الكبير
الأستاذ المرحوم
محمد إسحاق
عبد الرسول

ملخص البحث

يستهدف البحث الى استخلاص ما يحويه الشعر العربي القديم من قيم علمية تتفق والمعطيات العلمية الحديثة كمحاولة للدلالة على بعض مظاهر الحياة العقلية عند العرب أو الاستدلال على شيوع ورواج الثقافة العلمية عند العرب أو تسجيل فضل سبق العرب مما قد يتضمنه الشعر العربي القديم من أفكار علمية غير مسبوقة في بابها. وتستأثر الجيولوجيا والفلك وعلوم الاحياء من نبات وحيوان بالنصيب الأوفر من الشعر العربي القديم:

فالصحراء وهي موطن العرب الأوائل تكون مجالًا جيولوجيًّا ممتازًا.

أما الفلك فهو صمام أمان لمن يسكن الصحراء.

أما علوم الأحياء فيشغل ذكر النبات والحيوان حيزًا هامًّا في القصيدة العربية القديمة، فهما عماد الأعرابي في صحرائه فضلًا عن بعض المعارف العلمية الأخرى التي يتضمنها الشعر الغنائي العربي القديم على مر عصوره.

مقدمة

الشعر هو فن العرب الأول، تلك حقيقة لا شك فيها، فقد برع العرب فيه حتى كاد أن يكون وقفًا عليهم، والشعر أيضًا هو ديوان العرب، فقد جمع فكر وثقافة العرب الأوائل، فسجلت فيه أخلاقهم وعاداتهم وما يكرهون وما يحبون. ويورد السيوطي - في المزهر - قول ابن فارس: "والشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله ﷺ"(١).

وللشعر منزلة لدى العرب لا يدانيها سوى منزلة الشاعر نفسه في قبيلته، "فقد كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، وتتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليدًا لمآثرهم"(٢).

وبالإضافة إلى ما للشعر - ولاسيما في عصوره الأولى كما هو معروف ومشهور - من قيمة أدبية كفَنٍّ من الفنون فقد انتفعت به علوم كالنحو واللغة والبلاغة.

ومن الجدير بالذكر أنه كان للشعر أيضًا إسهامه الواضح في علوم أخرى كالتاريخ والجغرافيا بما أفاض الشعراء في أشعارهم بذكر أيامهم وحروبهم، وبما حرصوا على ذكر الأماكن والمواضيع في أرجاء شبه الجزيرة العربية، وبما أجادوا في وصف مفردات بيئتهم من نبات وحيوان وجماد(٣).

نفرغ من هذا لنقول: إنه فضلًا عما للشِّعر من قيمة أدبية ولغوية ونحوية وانتفاع علوم كالجغرافيا والتاريخ به فإننا نجد أن للشعر العربي قيمة أخرى لا يقل خطرها عما سبق من قيم، وهي قيمته العلمية، ونعنى بالعلمية هنا تلك العلوم العقلية كالجيولوجيا والفلك والكيمياء، والتي هي أبعد ما تكون عن الأدب لكونها خلاصة بحث وتجربة العلماء لا من خيال وإلهام الشعراء، وهو ما أهمله الباحثون ودارسو الشعر العربي القديم - على كثرتهم - فلم يتبينوا قيمته العلمية التي توارت أمام طغيان قيمته الأدبية والاحتجاج بشواهده في اللغة والنحو.

وسوف نحاول في هذه الدراسة أن ندلل على ما يتضمنه الشعر العربي من قيمة علمية كَلَبِنَةٍ متواضعة في صرح مآثر العرب العلمية الضخم.

وربما يظن القارئ أننا نقصد الشعر العلمي - الذي يُقصد به العلم لذاته - كأراجيز ابن سينا في الطب أو أراجيز ابن ماجد في الملاحة والفلك، فهذا النوع من الشعر مما يندرج تحت باب العلم فهو كالتراث العلمي سواء بسواء.

ولكن الشعر الذي نعنيه هنا هو الشعر العربي بمعناه الشامل الأعم، أي الشعر الغنائي الذي يملأ التراث طولًا وعرضًا، فهذا النوع من الشعر وإن كان أبعد ما يكون عن الأفكار العلمية؛ إلا أن الكثير من الأبيات الشعرية لا شك في دلالتها العلمية، مما يعطى الانطباع بأنها أحوج ما تكون إلى التفسير العلمي منها إلى الشرح الأدبي وبيان ما فيها من فنون البلاغة والمجاز.

ولعلنا لا نكلف الشعر فوق ما يطيقه أو تعتسف معانيه إن أخضعنا بعض الشواهد الشعرية للتحليل العلمي ونظرنا إليها بعين من يدرس العلم لا بعين من يدرس الأدب، ولا نغالي إن قلنا: إن الكثير من الشواهد الشعرية لا يكتمل تمام معناها بدون هذا التحليل العلمي، أو على الأقل بيان ما فيها من إيحاءات ودلالات علمية حتى وإن كانت غير مقصودة لذاتها فهي في النهاية خلاصة معارف عامة ونتاج جو علمي شائع، حتى وإن كان الشعراء ليسوا من أربابه؛ إلا أنه يدل على ثقافة علمية سائدة كمظهر من مظاهر الحياة العقلية عند العرب، والتي لا تقتصر فقط على خاصة العلماء والمشتغلين بالعلم.

وإذا كانت تلك الشواهد الشعرية لا ترقى إلى كونها مصدرًا للتراث العلمي فيجب – على الأقل - ألا يفوتنا أن نسجل فضل السَّبْق والرّيادة لبعض المعطيات العلمية التي تتفق والعلم الحديث.

الجيولوجيا والشعر العربي

من المعروف أن الجزيرة العربية - إلا أقلها - ما هي إلا صحراء قاحلة لا يرى الناظر فيها سوى الجبال وما يتفرع عنها من أخاديد ووديان تكسو الرمال منها ما استوى على الأرض من سهول وحزون، وما ارتفع قليلًا من هضاب ورواب، ولا تخلو الصحراء من كثبان رملية سريعة التكوين سريعة الزوال تقيمها الرياح صبحًا وربما تذروها بليل. وبيئة هذا شأنها وتلك هي حالتها تصبح ولا شك - بمنظور علمي - مجالًا جيولوجيًّا ممتازًا. والقاري للشعر العربي القديم سوف يجد أن الشعراء العرب لم يتركوا شاردة أو واردة مما حولهم ومما حوته بيئتهم الصحراوية مهما استدقَّت وصغرت إلا استوعبوها وأودعوها قصائدهم، إما بالحديث عنها مباشرة أو إيرادها ضمن تشبيهاتهم مما تقتضيه فنون بلاغتهم.

> الشعر هو فن العرب الأول، تلك حقيقة لا شك فيها، فقد برع العرب فيه حتى كاد أن يكون وقفًا عليهم، والشعر أيضًا هو ديوان العرب، فقد جمع فكر وثقافة العرب الأوائل، فسجلت فيه أخلاقهم وعاداتهم وما يكرهون وما يحبون.

وهذا من أمر البيئة العربية الصحراوية أما عن علم الجيولوجيا - أو علوم الأرض - فشأنه شأن سائر العلوم يتشعب إلى أفرع وعلوم أخرى وسوف تتوقف عند أحد علومه وهو علم الجيولوجيا الطبيعية Physical Geology، ذلك العلم الذي يدين بمعطياته العلمية لمثل هذه البيئة.

وعلم الجيولوجيا الطبيعية يبحث - في مجمله - تأثير العوامل الطبيعية كالماء والهواء والحرارة في مادة الأرض، حيث يختص بدراسة العمليات الطبيعية التي أثرت وما زالت تؤثر على القشرة الأرضية والتي شكلت ومازالت تشكل تضاريس الأرض.

ومن أهم ما يدرس في هذا العلم ما يسمى بعوامل الهدم والبناء، ويقصد بعوامل الهدم كل من التجوية Weathering، والتعرية Denudation، والنقل Transportation، أما عوامل البناء فتتمثل في الترسيب.

ولقد فطن شعراء العرب منذ الجاهلية - ولاسيما شعراء البادية - وهم الذين تحوطهم الصحراء من كل جانب إلى ما تفعله الطبيعة المتحركة في الطبيعة الساكنة.

وبلغة العلم إلى تأثير العوامل الطبيعية، كالماء والرياح على مادة القشرة الأرضية ولسوف ترى من شواهد الشعر - حيث يعني الشاهد الواحد عن الشواهد الكثيرة، كيف أدرك الشاعر العربي القديم ما أدركه الجيولوجيون بعده بمئات السنين.

---

(١) المزهر للسيوطي، ج٢ ص٢٩١.
(٢) المصدر السابق، ج٢ ص٢٩٣.
(٣) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص٥٧.

رأي الإمـــام أبـي العزائم فـــي مسائل العـقـيـــدة (٣٦)

مقدمة

تكاد كلمة المسلمين تتفق على أن المعارف التي يجب على المسلم استيعابها هي: أصول الدين، وأحكام الشريعة.

وإن كانت المعرفة - بشكل عام - مطلوبة، ومرادة، وبكل فروعها، فيما يتعلق بالكون والحياة، وبخاصة ما يرتبط بالجوانب الاجتماعية والإنسانية التي تحدد علاقة الإنسان ببني نوعه، وذوات جنسه من كافة المخلوقات، كالأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، التي استقطبت جهودًا جبارة من المصلحين، وفي مقدمتهم الأنبياء والأئمة، والعلماء، والصالحين من الناس.

بقية: الفصل الأول: الإلهيات

بقية المطلب الثالث: صفات المعاني

(٤) صفة الإرادة

بقية: عموم تعلق الإرادة

العلاقة بين الإرادة والأمر

اختلفت آراء المتكلمين حول علاقة الإرادة بالأمر على النحو التالي:

١- مذهب المعتزلة:

ذهب المعتزلة إلى أن الإرادة ملازمة للأمر، فكل ما أراده الله تعالى أمر به، فلا مأمور به إلا وهو مراد له، ولا منهي عنه إلا وهو غير مراد له تعالى.

وكلام المعتزلة هنا يعنى أن الله تعالى إذا نهى عن المعصية ثم فعلها العبد دل ذلك على أن المعصية وقعت بغير إرادة الله ﷻ، وإنما وقعت بإرادة العبد.

وتبعًا لهذه الملازمة عندهم فإن الطاعات وحدها هي المرادة لله ﷻ؛ حتى ولو لم تقع؛ لأنها مأمور بها[١].

٢- مذهب أهل السنة:

ذهب أهل السنة إلى أن الإرادة مغايرة للأمر، ولا مستلزمة له.

فالإرادة تخصيص للممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة، والأمر طلب فعل سواء أكان غير كف أم كان طلب كف.

ولا مستلزمة للأمر فقد يريد الله شيئًا ولا يأمر به مثل كفر الكافر، وهي كذلك غير العلم؛ إذ العلم صفة انكشاف، بينما الإرادة تخصيص، وكذلك فهي لا تستلزمه؛ لما أن العلم يتعلق بالواجب والجائز والمستحيل، بينما الإرادة لا تتعلق إلا بالممكن فقط[٢].

هذا وقد ذهب الإمام أبو العزائم إلى أن الإرادة مغايرة للأمر فيقول رضي الله عنه: "أسعد الناس من وافقت إرادةُ الله فيه أمرَه"[٣].

ويقول رضي الله عنه: "والله جل جلاله كتب قدره الأزلي في كتاب أخفاه عنا ولم يطالبنا به، وكتب أمره المحبوب في كتاب آخر وأنزله إلينا وأمرنا باتباعه وتنفيذ أحكامه، فإذا منح سبحانه العبد الاتحاد في الأمر والإرادة كأبي بكر فقد منحه السعادة القصوى، وإذا قدر نفى الاتحاد في الأمر والإرادة عن عبد كأبي جهل قدر عليه الكفر والامتناع عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمره بالإيمان"[٤].

والإمام أبو العزائم يرد على المعتزلة ومن سار على نهجهم الذين يتحسبون من نسبة الضلال إلى الله في مثل قول الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦) فيقول رضي الله عنه: "وهنا تأول بعض من لم تنكشف لهم مشاهد التوحيد العلية أن قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من

مقول الكفار خوفًا من نسبة الإضلال إلى الله تعالى. وهنا يلزم أن أصنع نبراسًا تنكشف به كل الحقائق التي وردت في القرآن وتنزعج منه العقول الكليلة.

اعلم أن العلماء قسمان: قسم وقع به العلم على عين اليقين؛ حتى باشر الحق سويداء قلوبهم، وهم الذين عملوا بما علموا فعلمهم الله ما لم يكونوا يعلمون، بل هم الذين وهب لهم العقل الذي يعقل عن الله سر العلم المقدس على لسان العارف الرباني فسمعوا، فاقشعرت جلودهم بما سمعوا مما أنزل الله تعالى ثم لانت جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله.

ما هؤلاء العلماء الذين يتأولون كلام الله تعالى تأويلًا يناسب عقولهم، فوضعوا أنفسهم موضع الخائف على الله تعالى من أن يلحقه نقص إذا سلموا له كلامه تسليمًا؟، أما أهل المعرفة الذين كاشفهم الله تعالى ببباطن القرآن فهم ورثة الصحابة والتابعين، وهم الذين منحهم الله الخشية منه بما علمهم. وهؤلاء هم الذين يسلمون بظاهر القرآن ويسلمون لله تعالى في كلامه تسليمًا لا يشوبه انزعاج من أي عبارة كانت.. وهو مذهب السلف الصالح"[٥].

والمعتزلة وإن كانوا يرون نفى الشرور عن الله تعالى باعتبارها أمرًا قبيحًا وفعل القبيح سفه، والسفه على الله تعالى محال. فإن ذلك يعد نتاجًا لقولهم بالحسن والقبح العقليين.

لكن الأمر - حسب تصورنا - لا يعدو كونه أمرًا اعتباريًّا فإن ما أراه حسنًا قد يراه غيرى قبيحًا، والعكس، بل إن ما أراه قبيحًا الآن قد كنت أراه حسنًا فيما سبق.

فضلًا عن أن هذه الرؤية للأشياء من حيث الحسن والقبح مرتبطة بالأغراض، والله منزه عنها. وليس هناك للمعتزلة وجهة فيما قالوا من أن الإرادة لو غايرت الرضا، فكيف يسمح الله بوقوع المعاصي والشرور مع عدم رضاه عنها؟.

ومن هنا فإنا نقول: إن كل ما يقع في

د. سامي عوض العسالة

مدير عام بوزارة الأوقاف

ملك الله مراد له تعالى فلا يخرج عن مراده شيء في الوجود، كما لا يخرج عن قدرته مقدور.

يقول الإمام أبو العزائم: "أي: ولو أراد ربك ألا يفعلوا تلك المفاسد والشرور ما استطاعوا أن يفعلوا منه شيئًا؛ لأننا خلقناهم وما يفعلون"[٦].

ويفرق الإمام بين الإرادة الكائنة والإرادة المحبوبة فيقول: "إرادة الله تعالى صفة واحدة، وتختلف أسماؤها بحسب تفاوت متعلقاتها: تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوص النعم تسمى محبة. الإرادة نوعان: إرادة كائنة: لا مفر من وجودها، وإرادة محبوبة: يأمر الله تعالى بها له مرادان: مراد كائن، ومراد محبوب، وما علينا إلا تنفيذ المراد المحبوب، ولا يحصل إلا المراد الكائن"[٧].

ويقول عن الإرادة والأمر والنهى: "إن الفاعل المختار هو الله تعالى، فما كان هدى ونورًا فهو إرادته وأمره، وما كان ضلالًا وظلمًا فهو إرادته ونهيه".

ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ (النساء: ٦٤): "الجملة هنا أفادت القصر، والمعنى أن الله هو الذي يرسل الرسل بإذنه، وإنه إنما يرسلهم لحكمة واحدة وهي أن يطاعوا من أممهم، وليس هذا قدرًا نافذًا كأننا، وإنما هي إرادة محبوبة لله، فمن سبقت لهم محبة الله من الأزل ممن شرح الله صدره لاتباع الرسل والعمل بوصاياهم. ولو كان هذا الحصر عن إرادة كائنة لكان الأناسي على وجه الأرض كالملائكة، ولكن الله أراد أن يظهر أسماءه وصفاته جمالها وجلالها، فهو العطوف الغفور الرءوف التواب الكريم المنَّان المنعم المتفضل، وهو القهار المنتقم شديد البطش شديد العقاب، فظهر ﷻ بكل معاني صفاته فى مكوّناته"[٨].

ومن خلال ما مر نستطيع أن نقول: إن الإمام أبا العزائم قد أوجد لنفسه أسلوبًا مميزًا، استطاع من خلاله أن يبين الحقائق بوضوح.

*** ذهب الإمام أبو العزائم إلى أن الإرادة مغايرة للأمر فيقول ﷺ: "أسعد الناس من وافقت إرادةُ الله فيه أمرَه".**

*** الإمام أبو العزائم يرد على المعتزلة ومن سار على نهجهم الذين يتحسبون من نسبة الضلال إلى الله في مثل قول الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦).**

---

(١) هوامش على العقيدة النظامية، أ.د محمد عبد الفضيل القوصي، ص٢٣٦، ٢٣٧.
(٢) شرح البيجوري على الجوهرة، ص٧٩، ٨٠.
(٣) من جوامع الكلم، ص٣٨.
(٤) أسرار القرآن، ج٢ ص١٢٢.
(٥) أسرار القرآن، ج١ ص٨٢.
(٦) أسرار القرآن، ج٨ ص٣١٠.
(٧) من جوامع الكلم، ص٢١٠.
(٨) أسرار القرآن، ج٥ ص٦٤.

۞ هذا وعيد عظيم لمن كفّر أحدًا من المسلمين.

۞ اختلفوا في كل شيء وأولاها العقائد.. وحكموا بكفر بعضهم بعضًا.

۞ تكفير الحكام والمحكومين فتنة قديمة تبناها الخوارج.

محمد الشندويلى

٢- من السنة النبوية:

أ- ما روى عن جابر ﷺ عن رسول الله ﷺ: [أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله]، ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

وجه الدلالة: الأحكام الفقهية تبنى على الظواهر والله تعالى يتولى السرائر، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم نفسه بالأصالة وعرضه وماله بالتيقن؛ فيحرم استباحته بل ويحرم تكفيره.

ب- خبر [من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم].

وجه الدلالة: هذه الشعائر الدينية علامات تثبت الإسلام فلا يعدل عنها لمن قام بها إلى نقيضه من التكفير.

جـ- خبر [إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به].

د- خبر: جاء ناس من أصحاب الرسول ﷺ - فسألوه : إنّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: [أو قد وجدتموه؟] قالوا: نعم. قال: [ذلك صريح الإيمان].

وجه الدلالة: الوساوس التي تساور النفس التي تخرج من صاحبها عن الإسلام؛ لأن الله تعالى لا يؤاخذ به فدل على وجوب التثبت في الظاهر وترك أمر الباطن.

هـ- ما روى عن أبى ذر ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو نائم عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فجلست إليه فقال: [ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة]، فقلت: وإن زنا وإن سرق؟. قال: [وإن زنا وإن سرق]، قلت: وإن زنا وإن سرق، قال: [وإن زنا وإن سرق] (ثلاثًا)، ثم قال الرابعة: [على رغم أنف أبى ذر]، فخرج أبى ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبى ذر.

وجه الدلالة: إن ارتكاب بعض الآثام أو التقصير في أمور الالتزام بالدين لا تخرج المسلم عن إسلامه ولا تنقص من إيمانه، ومن ثم فيحرم تكفيره، بسبب كبيرة من الكبائر.

و- حديث: [من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى].

ز- حديث: قلت لرسول الله ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلًا من الكفار، فاقتتلنا فضرب إحدى يدىّ بالسيف، فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، ألا أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال: [لا تقتله]، فقلت: يا رسول الله: قطع إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها؟، فقال: [لا تقتله فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال].

إياك والقتل

ح- عن أسامه بن زيد ﷺ قال بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقَة من جهينة، فصبحنا القوم على مياههم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا المدينة، بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: [يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟] قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذًا! فقال: [أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟!] فما زال يكررها علىَّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وجه الدلالة: إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى.

ي- خبر: [إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه].

ك- حديث: [من دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه].

وجه الدلالة: يحرم اتهام المسلم بالكفر ومنه القول له يا كافر وما أشبه.

من أنشطة المركز العام للطريقة العزمية

خـــلال شهـــر ذو الحجة ١٤٤٧ هـ

قامت مشيخة الطريقة العزمية تحت رعاية سماحة السيد محمد علاء الدين ماضي أبى العزائم شيخ الطريقة العزمية عدة محاضرات خلال شهر ذو الحجة ١٤٤٧هـ، تأكيدًا لدورها الكبير في تبصير الأمة بالواجب المطلوب منها:

ليلة أهل البيت

فـي يـوم الجمعـة ٥ ذو الحجة ١٤٤٧هـ، الموافـق ٢٠٢٦/٥/٢٢م أقيمت ليلة أهل البيت السابعة والمائتان بقاعة الإمام المجدد السيد محمد ماضـي أبـى العـزائم رضي الله عنه، حيث حضـرها عـدد مـن أبنـاء الطريقـة العزمية من مختلف المحافظات.

وقد افتتحها سماحة السيد علاء أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية بالتعليق على الأحداث الجارية التي تمر بها الأمة الإسلامية، مؤكدًا أن الحرب الحالية التي تواجهها إيران كشفت حقيقة مواقف الجميع.

وأشار سماحته إلى أن الحرب الدائرة اليوم كشفت حقيقة الناس؛ فالإخوان والسلفية رددوا أن (اليهود كفرة، وأكثر منهم الشيعة)، من أجل خدمة العدو في الحرب، مخالفة لقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢).

وأكد سماحته أن خطورة الإخوان والسلفية والعلمانية على الأمة

واضحة، مجددًا تحذيره للعالم من خطورة توسع الدولة الصهيونية، لأن ما يحدث في غزة سيحدث في العالم بأكمله، مشيدًا بإدراك شعوب العالم لخطورة الصهاينة على الجميع.

واستنكر موقف بعض المسلمين قائلاً: "هناك شيء يثير العجب، وهو أن بعض المسلمين يحاربون اليوم في صف أمريكا وإسرائيل ضد إيران"، مؤكدًا أن من يموت منهم ليس بشهيد، بل إن كل من يحارب مع إيران ضد الأعداء فهو الشهيد.

وتابع: "الشيعة ليسوا كفرة، فهم يؤدون أركان الإسلام الخمسة تماماً مثل السنة، والخلاف بيننا وبينهم هو خلاف في الفروع وليس في الأصول، لذلك، فإن الوقوف مع إيران ضد المعتدين واجب، فالله لا يحب المعتدين.

وواصل الدكتور عبد الحليم العزمي حديثه حول سيرة أهل البيت عليهم السلام، بالحديث عن فتح كنوز النشأة الروحية للإمام المجدد السادس في الإسلام السيد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه؛ كي ينجلي صدى القلب مما وقر فيه من الاستشكال عند سماع ذلك، طبقًا لما ورد بكتابي (جوهرة الدسوقي) و(الجوهرة المضيئة) على لسان الإمام الدسوقي رضي الله عنه، حيث فصّل الحديث عن خطبة القطبانية، واللوح المحفوظ وسدرة المنتهى، وفك طلسم السماء، والحرف المعجم في المثاني، ووضع قدمه في الدنيا فلم تسعها، وتحريك ما سكن وتسكين ما تحرك، ومخاطبة جبريل، وخروجه من الخلوة.. ووعد باستكمال فتح كنوز النشأة الروحية للإمام الدسوقي في الليلة المقبلة إن شاء الله تعالى.

وختمت الليلة بفقرة من الإنشاد الديني من قصائد الإمام أبي العزائم للفرقة العزمية.

وسوف تقام بالقاهرة ليلة أهل البيت:

١- الثامنة والمائتان يوم الجمعة ٤ محرم ١٤٤٨هـ الموافق ٢٠٢٦/٦/١٩م.

٢- التاسعة والمائتان يوم الجمعة ٣ صفر ١٤٤٨هـ الموافق ٢٠٢٦/٧/١٧م.

آيات الساعة العشر في القرآن الكريم والسنة

الحلقة الثالثة عشر

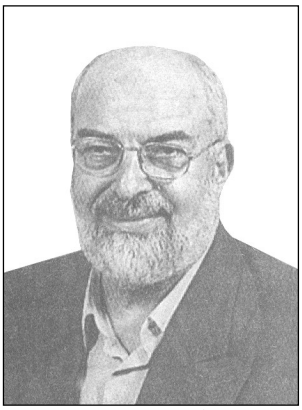

المرحوم الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقي

الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

مقدمة

بيَّنَّا اللقاء الماضي أن زلزلة الساعة لا تحدث لحظة قيام الساعة كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة نتيجة إضافة الزلزلة إلى الساعة - ولكنها زلزلة عظيمة لم يكن لها نظير من قبل تحدث بين يدي الساعة كعلامة من علامات الساعة، فهي تحدث في الدنيا، كما تحدث أشراط الساعة وآيات الساعة الأخرى.. وفي هذا المقال نستكمل الحديث، فنقول:

بقية: زلزلة الساعة العظمى في القرآن الكريم والسنة

بقية: الخسوف الثلاثة تقع بزلزلة الساعة:

بالرغم من أن الصلة وثيقة بين الخسف والزلزلة، وهي من قبيل صلة المعلول بالعلة. وبالرغم من أن الحديث ذكر ثلاثة خسوفات هي آيات ثلاث تحدث، وتوصلنا إلى أنها الآيات العظمى من الأولى إلى الثالثة حسب ترتيب الحدوث.

ومع أننا نجد ذكر الزلزلة العظيمة في أول سورة الحج باعتبارها علامة أو شرطًا من أشراط الساعة العظمى، فإن أحدًا - فيما قرأت - من المفسرين لم يربط بين الزلزلة والخسوف. كما لم أجد لأحد من العلماء الذين تحدثوا عن الساعة وأشراطها ربطًا بينهما، وذلك بالرغم من أن المفسرين قد أوردوا من حديث رسول الله ﷺ من كلام السلف والتابعين ما يفيد أن هذه الزلزلة العظيمة إنما هي علامة من علامات الساعة، أورد السيوطي في الدر المنثور ما نصه:

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علقمة في قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، قال: الزلزلة قبل الساعة.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن الشعبي أنه قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ..﴾ إلى قوله: ﴿.. وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ – ٢] قال: هذا في الدنيا من آيات الساعة

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن عبيد ابن عمير في الآية. قال: هذه أشياء تكون في الدنيا قبل يوم القيامة.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال: زلزلتها شرطها

وأخرج ابن جرير عن أبي زيد في قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ قال هذا بدء يوم القيامة[1]، وفي قوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢] قال: تترك ولدها للكرب الذي نزل بها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان في قوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ [الحج: ٢]، قال: تغفل.

وأخرج ابن جرير عن الحسن في قوله: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ قال: ذهلت عن أولادها لغير فطام، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾، قال: ألقت الحوامل ما في بطونهن لغير تمام، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾

قال: من الخوف، ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ [الحج: ٢]- قال: من الشراب[٢].

وقد أثبت ابن كثير اختلاف العلماء في زلزلة الساعة.

فقال قائلون: هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة، عن علقمة في قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، قال: قبل الساعة.

وعن عامر الشعبي قال: هذا في الدنيا قبل يوم القيامة وقد أورد الإمام ابن جرير في حديث الصور عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [إن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض، خلق الصُّور، فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش، ينتظر من يؤمر] قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الصور؟ قال: [قرن] قال: فكيف هو؟ قال: [قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين. يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ (ص: ١٥) فتسير الجبال فتكون ترابًا، وترج الأرض بأهلها رجًّا، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (النازعات: ٦ – ٨)، فتكون الأرض كالسفينة الموبقة على البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها، وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح، فيمتد الناس على ظهرها، فتذهل كل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضًا، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غافر: ٣٢ - ٣٣)، فبينما هم على ذلك إذا انصدعت الأرض من قطر إلى قطر، ورأوا أمرًا عظيمًا، فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به، ثم نظروا إلى السماء، فإذا هي كالمهل، ثم خسف شمسها وقمرها، وانتثرت نجومها، ثم كشطت عنهم]، قال رسول الله: [والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك]، قال أبو هريرة: فمن استثنى الله حيث يقول: ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧] قال: [أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه، وهو الذى يقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: ١ - ٢)][٣]، قال ابن كثير في تفسيره بعد أن أورد هذا الحديث الطويل: إنه دل على أن الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة، أضيفت إلى الساعة لقربها منها، كما يقال أشراط الساعة ونحو ذلك والله أعلم)[٤].

وقال آخرون: بل ذلك هول وفزع وزلزال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور، واختار ذلك ابن جرير، واحتجوا بأحاديث بعض الحديث الواحد منها يخص زلزلة الساعة مباشرة، وبعضه يخص أهوال القيامة. والتي سنبدأ بها مقالنا المقبل إن شاء الله تعالى.

مع أننا نجد ذكر الزلزلة العظيمة في أول سورة الحج باعتبارها علامة أو شرطًا من أشراط الساعة العظمى، فإن أحدًا - فيما قرأت - من المفسرين لم يربط بين الزلزلة والخسوف.

---

(١) وهو قول صحيح سيظهر لنا معناه من بعد حيث اليوم الآخر يبدأ فجره بالآية الأولى من آيات الساعة العظمى، فهذا اليوم ليس نهارًا وليلة وإنما هو عشرات السنين.
(٢) السيوطي الدر المنثور ج١٧٠، ص٧.
(٣) رواه الطبراني وابن جرير وابن أبي حاتم.
(٤) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ح٢، ص٥٨.

أباطيل الإسلام السياسى

الأسس الفكرية للإرهاب

(٨٧)

- لقد تبين لنا أن ابن تيمية شخصية قلقة، خالف علماء الأمة الكبار في قضايا (العقيدة، والفقه)، يكفر الفرق والطوائف بأدنى شبهة، ويدعو لقتلهم بدم بارد.
- الدماء التي تسيل في سوريا وفى العراق وفى كل الدول العربية والإسلامية سببها فتاوى ابن تيمية.

تقديس ابن تيمية (٨)

قال محدثى:

لقد كان ابن تيمية مدافعًا جسورًا عن الصحابة الكرام محبًّا لآل البيت ﷺ، ويفتى دائمًا أن محبة آل البيت فرض واجب على كل مسلم[١].

قلت:

لقد كان ابن تيمية " ناصبيًّا "؛ يناصب آل بيت النبى ﷺ العداء وينتقصهم ويدافع عن أعدائهم من بنى أمية؛ وهذه طائفة من كتابات ابن تيمية التى تؤكد أنه ناصبى:

١- "معلوم أن الله جعل للصحابة مودة فى قلب كل مسلم. ولم يكن كذلك عليّ فإن كثيرًا من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه"[٢].

٢-" إن عليًّا قتل النفوس على طاعته، وكان مريدًا للعلو فى الأرض والفساد وهذا حال فرعون "[٣].

٣- " والذي عليه أكابر الصحابة والتابعين أن قتال الجمل وصفين لم يكن من القتال المأمور به، وأن تركه أفضل من الدخول فيه، بل عدَّوه قتال فتنة، وعلى هذا جمهور أهل الحديث وجمهور أئمة الفقهاء"[٤].

٤- " نصف رعيته يطعنون فى عدله، وبالجملة لم يظهر لعليٍّ من العدل مع كثرة الرعية وانتشارها ما ظهر لعمر ولا قريب منه"[٥].

٥- " كان عليٌّ ظالمًا طالبًا للمال والرياسة، قاتل على الولاية حتى قتل المسلمين بعضهم بعضًا، ولم يقاتل كافرًا، ولم يحصل للمسلمين فى مدة ولايته إلا شر وفتنة فى دينهم ودنياهم "[٦].

٦- " اختلف في عليٍّ، هل حفظ القرآن أم لا؟ "[٧].

٧- " إن أئمة الفقه لم يرجعوا إلى عليٍّ فى فقهه، وأن أهل المدينة لم يستفيدوا أى علم من عليٍّ وآل البيت "[٨].

٨- " يشبه غضب السيدة فاطمة الزهراء ﷺ بالمنافقين، وأن لها قوادح كثيرة "[٩].

٩- " الزهري كان أعلم بالسنة النبوية من الإمام جعفر الصادق "[١٠].

١٠- " الإمام عليٌّ زين العابدين أخذ العلم من مروان بن الحكم "[١١].

علاوة على أن ابن تيمية كان مدافعًا جسورًا عن يزيد قاتل الإمام الحسين ﷺ، مدعيًا أنه لم يأمر ولم يرض بذلك، ولم يفرح بقتله ولم يهن نساء أهل البيت!![١٢].

ودفاع ابن تيمية عن يزيد - دفاع بارد - ينقضه العقل والنقل:

فلماذا لم يأمر يزيد بقتل قتلة الحسين؟! ولماذا لم يعزل ابن زياد عن إمارة الكوفة؟! طالما أنه لم يأمر ولم يرض ولم يفرح!!!

وكتب التاريخ والسير المعتبرة، تؤكد أن يزيد هو الذى أمر بقتال وقتل الإمام الحسين ﷺ، وأمر بإحضار رأسه الشريفة لديوانه بالشام للتشفى وأخذ يعبث بثنيتيه الطاهرة بقضيب، وأحضر نساء آل البيت وعلى رأسهن السيدة زينب أخت الحسين ﷺ لديوانه بشكل فيه إهانة لمكانتهن الدينية وكأنهن سبايا، وهذا ثابت فى كتب التاريخ والسير، أثبت ذلك الحافظ المزي فى تهذيب الكمال بأصح الأسانيد، والحافظ الذهبي فى

"سير أعلام النبلاء"، والإمام جلال الدين السيوطى "تاريخ الخلفاء"، وابن العماد الحنبلى فى "شذرات الذهب" وغيرهم كثير.

قال محدثى:

المعروف عن ابن تيمية أنه كان محبًّا للنبى ﷺ وآل بيته الكرام ولكنه كان ينكر الغلو فى الأنبياء والصالحين، هذا هو موقف ابن تيمية الحقيقى.

قلت:

النصوص التى أوردتها سابقًا من كتابه "منهاج السنة"، توضح بجلاء أنه كان يناصب آل البيت العداء.

وأما مسألة إنكاره الغلو هذه فمردود عليها، فالغلو المرفوض هو الغلو فى الاعتقاد فقط.. وليس فى الحب... فتنبه.

علاوة على أن مسألة إنكار الغلو الذى يطنطن حولها ابن تيمية وسلالته... فقد خالفها ابن تيمية هو نفسه:

عندما أدعى أنه يعلم ما فى اللوح المحفوظ قائلًا: " كتب الله تعالى فى اللوح المحفوظ أنهم مهزومون فى هذه الكرة"[١٣].

وغالى فيه مريدوه فى حياته عندما تعاملوا معه – عمليًّا - على أنه العالم الأوحد وشيخ الوجود الذى يتابعونه فى كل ما يقول ويتعبدون بأقواله وكأنها وحى منزل!!

فهذا ابن القيم تلميذ ابن تيمية الوفى يقول: " أخبرنى – أى ابن تيمية - غير مرة بأمور باطنة تختص بى، مما عزمت عليه ولم ينطق بها لسانى، وأخبرنى ببعض حوادث كبار تجرى فى المستقبل ولم يعين أوقاتها، وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها، وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف

د. محمد حسينى الحلفاوى

أضعاف ما شاهدته "[١٤].

وهذا تلميذه ابن عبد الهادى يقول: " إن يكن فى الدنيا قطب، فهو القطب على التحقيق "[١٥].

وبعد مماته غالى فيه أتباعه أيضًا وهذه أمثلة لذلك:

يقول ابن عبد الهادى: " وشرب جماعة الماء الذى فضل من غسله، واقتسم السدر الذى غسل به، وقيل: إن الطاقية التى كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم"[١٦].

أما محمد إسماعيل المقدم – عميد المدرسة السلفية بالإسكندرية - فيغالى فى ابن تيمية ويشبهه بسيدنا إبراهيم عليه السلام قائلًا: (فكما أن جميع الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام، لا بد أن يكونوا من ذريته ولذلك لقب بأبى الأنبياء؛ فكذلك ابن تيمية منذ وجد لا يعرف سلفيًّا إلا ولا بد أن يكون من سلالته العلمية، فهو المحطة الرئيسية للمنهج السلفى)[١٧].

حتى أنت: فقد غاليت فى ابن تيمية فى حوارنا؛ فبعد ذكر اسمه، تردفه بقولك: (قدس الله روحه ونور ضريحه) وذلك من بداية حوارنا، ولو أردف غيرك هذه الجملة بعد ذكر أحد الصحابة رضى الله عنهم أو أحد آل البيت الأطهار، أو أحد الأئمة الأعلام؛ لاتهمتموه بالغلو والشرك.

وبعد:

لقد تبين لنا أن ابن تيمية شخصية قلقة، خالف علماء الأمة الكبار فى قضايا (العقيدة، والفقه)، يكفر الفرق والطوائف بأدنى شبهة، ويدعو لقتلهم بدم بارد.. ولذلك فقد ناقشه ورد عليه كبار فقهاء عصره، وعندما استفحل شره، تم تحذير الناس من التلقى عنه وسجنه.

ونختم حوارنا بكلمة للدكتور على الشعيبى يقول فيها:

"الدماء التى تسيل فى سوريا وفى العراق وفى كل الدول العربية والإسلامية سببها فتاوى ابن تيمية... والله الذي لا إله هو الآن إذا أرادت الأمة الإسلامية كلها أن تقف وتمنع نفسها عليها أن تنشئ مؤسسة خاصة لفتح ملف هذا التعيس الذى كان علمه أكبر من عقله عبدًا لمرضه النفسى"[١٨].

---

(١) منهاج السنة ج٧ ص ١٠٢.
(٢) منهاج السنة ج٧ ص ١٣٨.
(٣) منهاج السنة ج٤ ص ٥٠٠.
(٤) منهاج السنة ج٤ ص٢٨١.
(٥) منهاج السنة ج٦ ص ١٨.
(٦) منهاج السنة ج٢ ص ٦٠.
(٧) منهاج السنة ج٨ ص ٢٢٩.
(٨) منهاج السنة ج٧ ص ٥٢٩، ٥٣٠.
(٩) منهاج السنة ج٤ ص ٢٤٥، ٢٤٣.
(١٠) منهاج السنة ج٢ ص ٤٦٠.
(١١) منهاج السنة ج٧ ص ٥٣٤.
(١٢) مجموع الفتاوى ج٣ ص ٤١٠.
(١٣) مدراج السالكين لابن القيم ج٢ ص ٤٩٠.
(١٤) مدراج السالكين لابن القيم ج٢ ص ٤٨٩.
(١٥) العقود الدرية ج١ ص ٣٧٣.
(١٦) العقود الدرية ج١ ص ٣٨٧.
(١٧) طريق الإسلام بتاريخ ٥-٥-٢٠٠٥م، مقطع صوتى.
(١٨) الدكتور على الشعيبى السورى قناة الميادين بتاريخ ٩-٤-٢٠١٥ م برنامج (ألم) حاوره يحيى أبو زكريا.

شروح الحكم من جوامع الكلم
للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم

الأستاذ
سميح محمود قنديل

الحكمة الرابعة والثمانون بعد المائة

الفناءُ ثلاثُ مراتب: فناءٌ عن مرادك بمراده، وفناءٌ عن الدنيا والآخرة برضوانه، وفناءٌ به عنك.

حكم عالية، ودرر غالية، أفيضت من الكتاب المسطور، والبحر المسجور، ونطق بها لسان الرق المنشور، أخذًا من البيت المعمور. سعد من فهم هذه الحكم علمًا، أو تمتع بها ذوقًا، أو سار على هديها سلوكًا؛ لأن عباراتها من بحر عرفان ونور بيان مجدد هذا الزمان.

نقدم إحدى هذه الحكم العظيمة يعقبها تعليق نسترشد به في نيل المجد الإسلامى.

الفناء لغة: هو مصدر فنى يفنى فناء، إذا اضمحل وتلاشى وعدِم، وقد يطلق على ما تلاشت قواه، وأوصافه مع بقاء عينه، كما تأتي بمعنى الزوال: قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

الفناء اصطلاحًا: الفناء الصوفي له معنيان هما:

١- معنى أخلاقي عام: يتحقق بفناء الصفات المذمومة، مما يدل ضمنًا على الاتصاف بالصفات المحمودة والبقاء فيها، من خلال المجاهدة والرياضة والتزكية.

٢- معنى صوفي خاص: يتمثل بفناء الصوفي عن نفسه، وعن الإحساس بالغير عبر الاستغراق التام في الله سبحانه، والتحقق في البقاء في وجود الحق حالًا وشهودًا، وهو ما عبر عنه: بالفناء الذاتي، ولكي يتحقق الصوفي بفناءه الذاتي، لا بد من تحققه أولًا بالفناء الأخلاقي، ويرى الجنيد ﷺ أن الفناء هو إزالة الحجب، قالوا له: إنك تقول: الحجب ثلاثة: حجاب النفس، وحجاب الخَلق، وحجاب الدنيا، فقال: إن هذه الحجب ثلاثة عامة، وهناك ثلاثة حجب خاصة هي: مشهد الطاعة، ومشهد الثواب، ومشهد الكرامة.

فالفناء عند الصوفية هو أن تبدو العظمة والجلال على العبد، فتنسيه الدنيا والآخرة والدرجات، والأحوال والمقامات والأذكار، وتغنيه عن كل شيء، وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء، وعن فنائه عن الفناء، فيغرق في صفة الفناء، وهو أن يكون الحق هو سمعه وبصره، فتفنى صفة البشرية، وتبقى صفة الألوهية.

وفى جوامع كلمه يبين الإمام أبو العزائم ﷺ بعض الحقائق عن الفناء مؤكدًا أن: علامة الفناء: ذهاب الحظ من الدارين، ومبينًا أنه: ليس بينك وبين ربك إلا أنت، فامح أنا ترى المسرة والهنا، فالفناء: هو العجز عن إدراك العبودية، والبقاء: دوام

مشاهدة الإلهية، وحقيقة العبودية: واقعة بين الفناء والبقاء.

وفى كتابه القيم: "مصطلحات الصوفية" يبين الإمام أبو العزائم ﷺ أن الفناء: تجريد ومجاهدة: فيقول: الفناء تجريد عن لوازم البشرية، ومقتضيات الآدمية، ونوازع الإبليسية، وميول النباتية، ودواعى الجمادية، مسارعة إلى الزهد فى الدنيا، والمجاهدة لتلك النفوس بتحمل فادح الآلآم صبرًا وعزيمة، تشبهًا بالعالم الروحانى، اقتداء برسول الله ﷺ وبأئمة أهل الهدى.

ثم يبين أن الفناء هو برزخ بين الوجودين، بين الوجود الباطل، وبين الوجود الحق بالحق، والفناء هو معراج الاجتباء، والبقاء هو مراقى الاصطفاء، وبينهما برزخ لا يبغيان، وليس الفناء محو الحقيقة الإنسانية كما يظن أهل الجهالة، إنما هو الاقبال على الله تعالى من غير فترة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فى حاله ﷺ، ومقاله ﷺ، وعمله ﷺ.

أنا عند الفناءِ مرادُ قلبـــــى
وعند الجمْع محبوبى وحِبـــى
ونورُ الكنز بل كنزٌ أضاءت
بمظهره الحقائقُ عند قربـــى
أُديرُ براحَتىْ الكونَ حتـــــى
يكن ما شئتُه من غير صَعْب
تخِر لى العوالمُ إن أضـاءت
شموسُ بيانها فى حالِ شُربى
تسيرُ جميعُها لى خاضِعـاتٍ
لتحْظى بالسعادةِ عند ربـــــى

أنواع الفناء

١- الفناء النفسي: هي مرحلة الفناء الكامل، بوصول النفس إلى مرتبة الشهود الحق بالحق، قال الجنيد ﷺ: هو ذهاب القلب عن حس المحسوسات، بمشاهدة ما شاهد ثم يذهب عن ذهابه، فليس شيء يوجد، ولا يحس بشيء يفقد، ولقد قال الجيلي ﷺ: إن الفناء هو عدم شعور الشخص بنفسه ولا بشيء من لوازمها، وعباراته تتمثل في: اخرج عن نفسك، اخرج عن همك، اخرج عن علمك، اخرج عن عملك، اخرج عن اسمك، اخرج عن كل ما بدا لك (أي ظواهر الكون المادي كله) ويكون مطلوبك هو الله، وهمك وذكرك ونطقك هو الله، فالسالك هنا يفني تفكيره في الموضوع؛ حتى يصير القلب متأهبًا للامتلاء بالمحبوب، ولا شيء غير ذلك.

٢- الفناء الأخلاقي: هو يتمثل في فعلين هما:

- التخلية: وفيها يتخلى العبد عن كل ما يهبط بالنفس، ويجذبها إلى مستوى أهواء الدنيا من لذات وآلام وشرور.

- التحلية: وفيها يتحلى بالأخلاق الحسنة، والفضائل الروحية، التي تسمو بالبشرية إلى أعلى مراتبها.

٣- الفناء العرفاني: هو أن يرى السالك الخَلق بعين الفناء، فيسقط عنه رؤيتهم والتزين لهم، والمعرفة لا تتم إلا بعلم البقاء لا بعلم الفناء، وغاية المعرفة هو العجز عن المعرفة.

وهناك علاقة بين الفناء والبقاء يوضحها أهل الفناء، حيث يبين العارف بالله ابن عطاء الله ﷺ ذلك فى حكمه ومنها:

١- الفناء: يوجب غيبتهم عن كل شيء، والبقاء: يحضرهم مع الله تعالى في كل شيء، فلا ينقطعون عنه في شيء، وكذلك الفناء يميتهم والبقاء يحييهم.

٢- الفناء: هو الغيبة عن الخلق بشهود الحق، والبقاء: هو شهود الخلق بالحق إن كان بعد الفناء، وإن كان قبله فهو شهود خلق بلا حق، وهو محل أهل الحجاب.

٣- الفناء: وصف العبد، والبقاء: وصف الرب، والفناء هو استغراق العبد في الله حتى لا يشهد سوى ذات الله، ويقال لصاحبه غريق في بحار الأحدية، والبقاء هو الرجوع بعد الفناء إلى ثبوت الآثار بشهود ذات، وصفات المؤثر فيها.

٤- الفناء: مطلوب لغيره، والبقاء: مطلوب لنفسه. حيث يعتبر الصوفية أن أول الفناء هو الخوض في حقائق البقاء، فكمال السالك إلى الفناء لا يتحقق إلا بالتزود من حقائق وآثار البقاء.

٥- الفناء: مرحلة يقطعها الصوفي إلى الخالق ﷻ، وأما البقاء: فهو رحلة في الله ﷻ.

ويبين الإمام أبو العزائم ﷺ فى هذه الحكمة أن الفناء يكون على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: فناء عن مرادك بمراده: ومعناها: الفناء عن إرادة ما سواه، فيكون فانيًا بمراد محبوبه منه عن مراده هو فضلًا عن إرادة غيره، قد اتحد مراده بمراد ربه، أي: المراد الديني الشرعي لا القدَري الكوني، وهذا فناء خواص الأولياء والمقربين، ومن تحقيق هذا الفناء ألا يحب إلا في الله، ولا يبغض إلا في الله، ولا يوالي إلا في الله، ولا يعادي إلا في الله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، ولا يرجو إلا الله، ولا يستعيذ إلا بالله، فيكون أمره كله باطنه وظاهره كله لله، فهذا فناء عن مراده بمراد مولاه الذى تولاه.

المرتبة الثانية: فناء عن الدنيا والآخرة برضوانه: وفى هذا المعنى يقول الإمام أبو العزائم ﷺ نظمًا:

تجرَّد عن الكونين إن رُمْت ترآه
وانفيكَ واثبت يا بُنى الله
ولتفنَ حتى عن فنائِك إنـــــه
عينُ البقاء فعند ذاك تراه
فإذا فنيتَ به فلست بذاتِـــــه
أيضًا ولا أنت تكونُ سواه

والمقصود بالتجرد عن الكونين: التجرد عن الدنيا والآخرة، ثم لا يرى لنفسه فناء فيفنى عن فنائه، فإذا فنيت به فليس معنى ذلك أن تكون ذاته تنزه سبحانه عن ذلك علوًّا كبيرًا، وفى نفس الوقت تكون أنت مخلوق بيديه على صورته.

المرتبة الثالثة: فناء به عنك: فالله تعالى أراد منك أن تصرف له العبادة، فأنت تقدم حقه، وأراد منك أداء الفرائض، فتقدم حقه، وإذا نازعتك نفسك تقدم حق الله، فتفنى وتتناسى حقك من أجل تقديم حق الله، أراد منك ترك المحرمات فتتركها ولو نازعتك نفسك؛ لأنك فنيت بمراد ربك عن مراد نفسك، فتلغي مراد نفسك، بل ومراد الخلائق كلها، ولا تنظر إليه من أجل تقديم مراد الله وما يحبه الله من أداء الفرائض، والابتعاد عن المحارم، والاستقامة على دين الله.

اليهود أعداء الله تعالى (١)

معاني وإشارات قرآنية

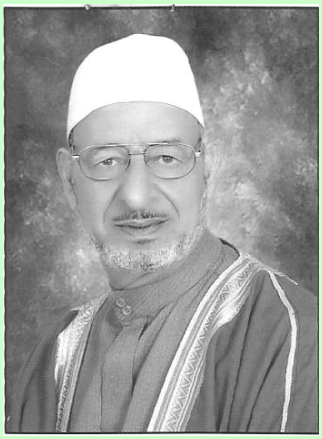

فضيلة الشيخ قنديل عبد الهادى

❁ **قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ المعنى أن القرآن جمع الكتب التي أنزلها الله على رسله من قبل، وزاد عليها ما به أكمل الله من الدين، وأتم علينا نعمته، فالقرآن مهيمن على كل الكتب.**

❁ **كل مَن ادعى أنه يحب الله وفي قلبه عداوة لمسلم فهو كاذب، وكل مَن ادعى أنه يعرف الله وفي قلبه إنكار على مخلوق فهو في دعواه أيضًا كاذب، فالواجب على العبد أن يُحب جميع العباد.**

برهان على أن اليهود لم ينتفعوا بما أنزل الله عليهم من العلم

الله تعالى يقول مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٧).

بعد أن بين الله تعالى ما بينه في يهود بني إسرائيل من مخالفتهم أمر الله تعالى ومحاربتهم أنبياءه عليهم الصلاة السلام، وبخهم ﷻ على كفرهم بخاتم الأنبياء بعد اعترافهم بأنه النبيّ الأميّ، وأنه خاتم الأنبياء الذي بشّر به أنبياؤهم، محتجين على معاداتهم له ﷺ على سبب هو الحجة القاطعة على فريتهم وضلالهم وخزيهم، وهو قولهم لرسول الله ﷺ ولعمر بن الخطاب: إن جبريل عدونا.

وجعلوه محل كفرهم برسول الله ﷺ؛ لأن جبريل هو رسول الله إليهم.

فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وفي هذه الآية البرهان القوي على أن القوم لم ينتفعوا بما أنزل الله عليهم من العلم بغيًا وعنادًا وحرصًا على الدنيا، وطمعًا فيما ينالونه منها من شياطينهم الأغنياء.

بيان لمكانة رسول الله عند الله تعالى

وفي قوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ بكاف الخطاب، بيان لمكانة رسول الله ﷺ عند الله تعالى؛ لأن الله تعالى هو الذي يخبر عنه اليهود مخاطبًا له ﷺ.

وشتان بين أن يقول ﷺ: نزله على قلبي، وبين أن يقول الله تعالى: ﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾.

وهذا نوع من بديع اللغة العربية، ومن كمال تشريف رسول الله ﷺ، وهو من العلم الذي لا يذوقه إلا أهل المقامات العالية.

وذلك لأن رسول الله ﷺ ينقل خبر الله في إقامة الحجة على صدق رسالته، الحجة التي قصمت ظهورهم، فيبلغهم كلام الله بصفته رسوله عليه الصلاة والسلام.

وفي هذه الآية بيان لنوع من أنواع الوحي؛ الذي ذكر الإمام أبو العزائم - في هذا السياق من تفسيره - أنه سيشرح كل أنواعه عند المناسبات.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: أن الله تعالى أذن جبريل أن ينزل ما تلقاه من الله تعالى على قلب محمد ﷺ، وفي ذلك من تعظيم النبيّ ورفعة شأنه ما فيه كما تقدم.

القرآن مهيمن على كل الكتب

أما قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ فالمعنى أن القرآن جمع الكتب التي أنزلها الله على رسله من قبل، وزاد عليها ما به أكمل الله من الدين، وأتم علينا نعمته، فالقرآن مهيمن على كل الكتب.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾،

الهدى: هو البيان المؤيد بالحجة البالغة، فلا يماري فيه إلا من أعمى الله بصائرهم، والبشرى في اللغة العربية: كل خبر بخير لم يسبق للمخبَر به أن يسمعه.

وكل القرآن بشائر للمؤمنين، فوعده: بشرى لهم؛ لأنه يقرر لهم الفوز بالسعادة الدائمة، وبالخير العاجل في الدنيا، وفي وعيده: يبشرهم بنصرهم على أعدائهم، وبالانتقام من خصومهم، وبالتمكين لهم في الأرض بالحق؛ بعد إذلال أعداء الله وأعدائنا.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ للمصدقين الذين صدقوا الله ورسوله قلبًا ولسانًا؛ تصديقًا انعقدت عليه قلوبهم، وعملت الصالحات جوارحهم.

حكم على اليهود بأنهم أعداء الله تعالى

وفي قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨)؛ حكم على اليهود بأنهم أعداء الله تعالى، وفي ذلك أشنع التوبيخ.

وذكر الملائكة والرسل، ثم خصص جبريل - وهو من الملائكة - لتكون الآية الشريفة جامعة مانعة:

أما جامعة: فللملائكة والرسل.

وأما مانعة: فلمنع تأويله الفاسد من أن يقولوا إن جبريل ليس من الملائكة.

وقد يبلغ بهم هذا التأويل الباطل إلى أن يقولوا: إنك لست من الرسل، لأن الذي جاءك جبريل؛ ونحن نحب الملائكة إلا جبريل، فقهرهم الله تعالى بقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ﴾.

فكان الحكم - الذي هو جواب الشرط - وهو: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾؛ صاعقة أهلكتهم في الدنيا بالخزي والذل، وفي الآخرة بأليم العذاب.

معاداةُ أولياءِ اللهِ هي معاداةُ اللهِ أيضًا

وفي إشارة لابن عجيبة: إذا كانت معاداة الملائكة والرسل هي معاداة الله، فكذلك معاداةُ أوليائه هي معاداة الله أيضًا، ولذلك قال تعالى: ﴿مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فقد آذَنتني بالحَرْبِ﴾، فالبعض هو الكل، ويؤخذ بالمفهوم أن محبة الملائكة والرسل هي محبة الله.

وكذلك محبة أولياء الله هي محبة الله، وكذلك أيضًا محبة عباد الله هي محبة الله، ومعاداتهم معاداة الله، (الخَلقُ عِيَالُ الله، وأحبُّ الخَلقِ إلى اللهِ أنفعهُمْ لِعيَاله).

وكل مَن ادعى أنه يحب الله وفي قلبه عداوة لمسلم فهو كاذب، وكل مَن ادعى أنه يعرف الله وفي قلبه إنكار على مخلوق فهو في دعواه أيضًا كاذب، فالواجب على العبد أن يُحب جميع العباد:

- من كان طائعًا فظاهر...

- ومَن كان عاصيًا أحب له التوبة والإنابة...

- ومَن كان كافرًا أحب له الإسلام والهداية...

- ولا يكره من العبد إلا فعله.

ولله دَر القائل:

ارْحَمْ بُنَيَّ جَميعَ الخلقِ كُلِّهِمُ
وانْظُرْ إليْهمْ بعين الحِلمِ والشَّفَقَهْ
وَقِّرْ كَبيرَهُم وارْحَمْ صغِيرَهُمْ
وَراع في كُلّ خَلْقٍ حَقَّ مَنْ خَلَقَهْ

وبالله التوفيق.

ويقول الإمام عز الدين بن عبد السلام في كتابه "زبد خلاصة التصوف":

... واعلم أن الخلق كلهم أطفال في حجر تربية الحق سبحانه، يغذي كل واحد من خلقه على قدر احتمال معرفته:

فغذاء الرجال لا يصلح للأطفال...

ومراكب الأبطالِ لا تصلح للبطَّال...

ألا ترى أن الطفل لما لم يطق تناول الخبز واللحم، وأُطْعِمَته حاضنتُه فوصل إليه بواسطة اللبَن، ولو أُطْعِم ذلك مجردًا لمات...

ومن ها هنا يقال: من لا شيخ له لا قبلة له، ومن لا شيخ له فالشيطان شيخه.

الظاهر من الأعمال ميزان الخلق

ويقول الإمام أبو العزائم في كتابه: "شراب الأرواح":

الظاهر من الأعمال ميزان الخلق، والحق محل نظره القلب، فعلى الإنسان أن يحكم على الناس بظواهرهم حالًا غير موقن بالمآل، فقد يكون المآل على مقتضى ظاهرهم وقد يكون على غير ذلك...

وكل ذلك بحسب السابقية...

أنت أيها الإنسان لا تعلم ما سبق في العلم، فلا تفرح بحسن الحال الظاهر في آخر، ولا تحزن بسوء الحال الظاهر في آخر، فإن الأحوال تتحوَّل، والشئون تتجدَّد، ولكن عليك أن تجعل الشكر حصنًا لحسن حالك، والابتهال وسيلة لتحسين مآلك...

أيها الإنسان؛ اجعل ثقتك بمن لا يتغير ولا يتحول، وأوصل نسبك بنسبه، وأُنَسْ به ليدوم فرحك، وتتوالى عليك البشائر في دنياك وآخرتك، واجعل مدحك للناس في حال إحسانهم بلسانك؛ تنشيطا لهم، ولا تركن بقلبك إليهم؛ لتكون على حذر منهم.

التكفيريون يخدمون من؟!

د. رفعت سيد أحمد

إن ما تعيشه أمتنا العربية اليوم (٢٠٢٦م) من صراعات وفتن الجماعات المتطرفة التكفيرية تجعلنا نتساءل دائمًا باحثين عن الإجابة الأعمق: من يخدم هؤلاء (التكفيريون الجدد) باعتبارهم كما نقول دائمًا (جماعات وظيفية) وليسوا (جماعات دينية)؟

إن هؤلاء (التكفيريين) ينطبق عليهما نصًّا وواقعًا الآية الكريمة التي يقول فيها الله ﷻ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

إن كل تجارب تلك الجماعات التكفيرية في بلادنا العربية منذ بدايات الربيع العربي ٢٠١١م تصب في هذا المعنى؛ النفاق! لكن يظل السؤال التاريخي قائمًا: من يخدم هؤلاء (التكفيريون) طالما لا يخدمون (الإسلام العظيم)؟

الإجابة الثابتة والدائمة: أنهم يخدمون الدول والأجهزة المخابراتية الخارجية، بهدف نشر الفوضى، وتفتيت الدول، وإسقاط الجيوش الوطنية تحت شعارات إسلامية زائفة؛ شعارات الإسلام منها براء!

وكثيرًا ما أتوقّف أمام تلك الآية الكريمة، متأمّلًا دلالاتها، وخاصة أنها نزلت في المنافقين من المنتسبين إلى الإسلام وكان بعضهم يحيط بالنبي ﷺ، مدّعيًا أنه صحابي جليل، وهو ليس سوى منافق عتيد، فنزلت عدّة آيات لتكشفهم وتفضح نفاقهم ودورهم التخريبي في دولة الإسلام الناشئة.

اليوم ونحن نتأمّل سياسات ومواقف هذه الجماعات المتطرفة تجاه قضايا الأمّة، وبخاصة قضية فلسطين، نجدهم قد ساهموا في تضييعها، بل وتضييع أراضي بلادهم، بل وشاركوا العدو الرئيسي للأمّة، في إشعال نيران الفتن والحروب المذهبية والسياسية، ومارسوا الإبادة الفعلية ضد الأقليات وذبحوهم!

هذه الممارسات والتجارب للجماعات التكفيرية بقيادة (الإخوان وداعش) تكشف لنا أن تلك الآية الكريمة نزلت فيهم، تمامًا مثلما نزلت في أجدادهم السابقين، بل إنهم لم يكتفوا من خلال تجاربهم الفاشلة – أو تلك التي ستفشل حتمًا رغم ضجيج بعض الفضائيات وتأييدها الخبيث لهم! - لم يكتفوا فقط بالفتن والمذابح بل قاموا بتقاسم تلك الفتن، صناعة وترويجًا وتوظيفًا مع أعداء الأمة المعروفين تاريخيًّا خدمة لإستراتيجية أميركية - غربية واحدة (وإسرائيلية طبعًا) كليهما يعمل فيها، هذا الأمر يدفعنا إلى التعمّق في النظر قليلًا، لنكتشف أن أحد أبرز القواسم المشتركة بين تلك الجماعات التكفيرية وأعداء الأمة التاريخيين، هو نشر الفتن المذهبية والطائفية بين أبناء المنطقة، ولعلّ ما قامت به تلك (الجماعات التكفيرية من الإخوان إلى داعش مرورًا بالنصرة!) خلال سنوات الربيع العربي المعلوم، ما يؤكّد ذلك.

هذا ويحدّثنا التاريخ الحديث للأمة خلال السنوات الماضية أن كلًّا من هذه الجماعات التكفيرية والكيان الإسرائيلي تميّز بالعنصرية ليس فحسب تجاه المنطقة العربية والإسلامية المحيطة بهم، بل امتد الأمر إلى أطراف في داخل الكيانين، فنجد في الداخل الإسرائيلي على سبيل المثال تمايزًا بين اليهود أنفسهم حيث يتصدّر يهود أوروبا (واليمين المتطرف!) المقام الأول لأنهم القلّة المختارة، والصفوة صاحبة المشروع منذ بدايته، ويأتي اليهود ذو الأصول الشرقية و"الفلاشا" وحتى اليهود الروس القادمون بعد إتمام المشروع في مراتب متدنيّة، ويشكّل هؤلاء حلقات تعاني من التمييز والدونيّة التي تعبّر عن ذاتها في الإقصاء والابتعاد عن دوائر صنع القرار السياسي والاقتصادي.

ويبقى عرب ١٩٤٨م داخل الخط الأخضر نموذجًا صارخًا على عنصرية الكيان الصهيوني وطائفيته وتمييزه على أساس العرق والدين، ولعلّ ما جرى مؤخرًا من تمييز فاضح ضدّ الدروز الحاصلين على الجنسية الإسرائيلية واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية (رغم ضجيج نتنياهو إزاء دروز سوريا وهو ضجيج باطل حتى أن وليد جنبلاط ذاته - القائد الدرزي اللبناني المعروف - فضحهم ورفض الحماية الإسرائيلية له!) كل ذلك يؤكّد تلك النزعة العنصرية تجاه مكوّنات هذا الكيان من غير اليهود، والذي كرّسه أكثر قانون يهودية الدولة والذي أصدرته إسرائيل في شهر يوليو ٢٠١٨م، وأثار في حينها ردود فعل واسعة.

* هذا هو نفس ما تفرضه التنظيمات والجماعات المتطرفة خاصة تلك التي وصلت - أو بمعنى أدق أوصلتها المخابرات الغربية والإقليمية لحكم بعض بلادنا المنكوبة بهم! - فمارست الإبادة والمذابح الجماعية في اليوم التالي لحكمهم...

* إن هذا التشابه في العنصرية المذهبية وروحية العداء للمذاهب والطوائف الأخرى هو الرابط المشترك للأسف بين التكفيريين وأعداء الأمة التاريخيين، ولقد زادت هذه الأيام حدّة وقسوة، خاصة عندما وصل بعضهم لحكم بعض البلاد المبتلاة بهم!.

اليوم ونحن نتأمّل سياسات ومواقف هذا الجماعات المتطرفة تجاه قضايا الأمّة، وبخاصة قضية فلسطين، نجدهم قد ساهموا في تضييعها، بل وتضييع أراضي بلادهم، بل وشاركوا العدو الرئيسي للأمّة، في إشعال نيران الفتن والحروب المذهبية والسياسية، ومارسوا الإبادة الفعلية ضد الأقليات وذبحوهم!.

* نحسب أن هذا الصراع المذهبي المُفتَعل سيستمر، إلا إذا استفاق العرب والمسلمون على حقيقة أن المستفيد من هكذا صراع هو تلك (الجماعات المتطرفة والتكفيرية) و(أعداء الخارج وإسرائيل) وهؤلاء التكفيريون لا يستطيعون العيش والحكم والهيمنة إلا في مناخ من الفوضى والعنصرية، وأن مشغليهم في الخارج لا يهدفون إلى استقرار المنطقة ونهوضها وإن ادعوا غير ذلك، ودائمًا هم يهدفون إلى نشر الفوضى والمذابح والدم باسم الإسلام.. والإسلام بريء منهم! وعلينا أن ننتبه جيدًا لدورهم وخلاياهم النائمة في بلادنا!

حفظ الله أمّتنا من مَكرهم وشرورهم.

تهانى

*يهنئ شيخ الطريقة العزمية

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم كلا من:

*الأخ الفاضل الأستاذ عبد العزيز سلامة وذلك لمنح كريمته الدكتورة منال درجة الدكتوراه في فلسفة الموارد البشرية للمنظمة الذكية بأكاديمية السادات للعلوم الإدارية .. بإيتاي البارود- بحيرة.

سائلا الله تعالى دوام السعادة والهناء، والتوفيق والسداد، والبركة فى الأولاد، والوسعة فى الأخلاق والأرزاق.

قصيدة (تَوَالِي الأَعْوَام)

للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبى العزائم رضي الله عنه

يَامَعَانِي الأَسْمَاءِ فِي الآيَاتِ ... هَلْ ضِيَاكِ يَلُوحُ فِي الْكَائِنَاتِ؟!

هَلْ عُيُونُ الْقُلُوبِ تَشْهَدُ نُورًا ... مُشْرِقًا ظَاهِرًا بِأُفْقِ الصِّفَاتِ؟!

تَشْهَدُ النُّورَ عَيْنُ نَفْسٍ تَزَكَّتْ ... مِنْ دَوَاعِي الْحُظُوظِ وَالشَّهَوَاتِ

تَشْهَدُ الْغَيْبَ عَيْنُ رُوحٍ أَضَاءَتْ ... بِالتَّجَلِّي فِي مَنْزِلِ الْبَيِّنَاتِ

ثُمَّ يَفْنَى فَرْدٌ مُرَادٌ بِمَعْنًى ... مِنْ مَعَانِي الْبَهَا وَمَجْلَى الذَّاتِ

يَظْهَرُ الْوَجْهُ لِلْمُرَادِ جَلِيًّا ... حَيْثُ لاَ لَبْسَ وَالْفَنَا إِثْبَاتِي

تَتَوَالَى الأَعْوَامُ وَالرُّوحُ تَرْأَى ... نُورَ أَزَلٍ بِحَيْطَةِ الآيَاتِ

كُلَّ يَوْمٍ شَأْنٌ جَدِيدٌ وَرُوحِي ... تَشْهَدُ الْحَقَّ هَيْكَلِي مِرْآتِي

لَمْ يَكُنْ فِي الشُّهُودِ لَبْسٌ لأَنِّي ... مُنْذُ أَزَلٍ أَرَى بِلاَ حَيْطَاتِ

لِي تَجَلَّى مِنْ قَبْلِ {كُنْ} فَأَرَانِي ... سِرَّ بَدْئِي وَالْعَوْدِ بَعْدَ شَتَاتِي

فَعُيُونِي الَّتِي رَأَتْهُ قُبَيْلاً ... لَمْ تُحَجَّبْ بِحَيْطَةِ الْكَائِنَاتِ

مِنْ {أَلَسْتُ} وَقَبْلَهَا كُنْتُ نُورًا ... سُورَةُ {التِّينِ} وَضَّحَتْ كَلِمَاتِي

لَمْ تُحَجِّبْ نُورِي ظِلاَلُ الْمَبَانِي ... فَاقْرَأْ بِذَوْقِكَ مُحْكَمَ الآيَاتِ

أَحْسَنَ الْحَقُّ صُورَتِي تَقْوِيمِي ... فِي ابْتِدَائِي وَالْعَوْدُ نُورُ حَيَاتِي

صَلِّ رَبِّي عَلَى الشَّفِيعِ الْمُرَجَّى ... نُعْطَ مِنْهَا الرِّضَا وَخَيْرَ الْهِبَاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

*ويحتسب شيخ الطريقة العزمية عند الله تعالى كلا من:

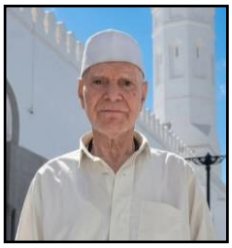

* الأخ الفاضل والمحب الصادق الحاج علي الزغبي والد كل من: المهندس صادق والحاج علي ومحمد ورجب وأحمد علي الزغبي.. ببرج البرلس محافظة كفر الشيخ.

* السيدة الفاضلة المرحومة حرم المرحوم الحاج فريج العطفاوي والدة الأخ المرحوم الحاج جلال فريج العطفاوي والمهندس رياض العطفاوي والحاج إبراهيم العطفاوي نائب الطريقة العزمية.. بسيدي سالم محافظة كفر الشيخ.

* المرحومة والدة الأخ الفاضل والمحب الصادق الشيخ إسماعيل الريس داعي آل العزائم.. بكوم حماده محافظة البحيرة.

* المرحومة ليلى عبد الهادي الجمال أخت الأخ الفاضل مشحوت الجمال.. بكفر الجمالة مركز الشهداء محافظة المنوفية.

*الأستاذ حسن أحمد العزازي والد د. أحمد والمهندس محمود، وشقيق الحاج السيد العزازي وابن عم الحاج محمد عزازي وشقيق الحاج محمد أحمد العزازي .. بالصالحية القديمة محافظة الشرقية.

سائلا الله تعالى أن يتغمدهم بواسع رحمته، وأن يسكنهم فسيح جناته، ولأهلهم خالص العزاء.

دعوة عامة

- إن تمت الموافقة الأمنية -

يحتفل أبناء الطريقة العزمية بمصر والعالم الإسلامى بالليلة الختامية لمولد العارف بالله سماحة السيد عز الدين ماضى أبى العزائم رضي الله عنه، يوم الخميس ١٧ من المحرم ١٤٤٨هـ الموافق ٢ يوليه ٢٠٢٦م.

وذلك بمسجده بإيتاي البارود محافظة البحيرة عقب صلاة المغرب.